محاضرات فى
تاريخ المغرب والأندلس



إعــداد الدكتــور
كمال السيد أبو مصطفى



مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش د/ مصطفى مشرفة - سوتير سابقا
الإسكندرية - ت : ٤٨٤٦٥٠٨

محاضرات في
تاريخ المغرب والأندلس

الدكتور

كمال السيد أبو مصطفي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية التربية – جامعة الإسكندرية

٢٠١٤

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة – الأزاريطة

ت . ف : ٠٠٢٠٣٤٨٤٦٥٠٨

info@alexandriabookcenter.com

alexbook.center@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أولاً: التعريف ببلاد المغرب

ينبغى أن نميز أولاً بين مصطلحى المغرب والغرب الإسلامى، فالمغرب يقصد به الشمال الأفريقى أو بلاد المغرب العربى كما أطلق عليها فى بعض الأحيان فى العصر الحديث، أما مصطلح الغرب الإسلامى فهو أوسع فى المدلول الجغرافى حيث يطلق على بلاد المغرب والأندلس والجزر الواقعة فى غرب البحر المتوسط (مثل صقلية وجزر البليار) والتى خضعت للمسلمين، أو بمعنى آخر يقصد بهذا المصطلح القسم الغربى من العالم الإسلامى.

ويرى بعض المؤرخين والجغرافيين القدامى أن النيل (أو مصر) هى الحد الفاصل بين المشرق والغرب وإن كان البعض يرى أن مصر تدخل ضمن المغرب الإسلامى، فيذكر ابن عذارى أن من أقسام المغرب قسم الإسكندرية إلى طرابلس "وهو أكبرها وأقلها عمارة" أى عمران، ويضيف بأن حد المغرب ينتهى عند ساحل البحر المحيط أى المحيط الأطلسى(١).

---

(١) أنظر. ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص ٥-٦، مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والاندلس، ص١٧ وما يليها؛ حسين مونس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩ وما يليها.

وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن خلدون فيقول أن "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحَده من جهة المغرب بحر المحيط، وهو عنصر الماء، وسمى محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض..." [1].

ويمكن تقسيم بلاد المغرب نتيجة للضرورة الإدارية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى ما يلى:

١- المغرب الأدنى: ويطلق عليه فى أغلب الأحيان اسم إفريقية وكان يقصد به جمهورية تونس حالياً علاوة على منطقتى برقة وطرابلس (فى ليبيا الآن) ومن أهم مدن تلك المنطقة مدينة القيروان.

٢- المغرب الأوسط: وهى المنطقة الوسطى من بلاد المغرب أو ما يعرف الآن بجمهورية الجزائر، ومن أشهر مدنه تاهرت وتلمسان.

٣- المغرب الأقصى: وهو القسم الواقع فى الطرف الغربى لبلاد المغرب ويعرف اليوم بالمملكة المغربية، ومن أهم مدنه فاس ومراكش وسبتة[2].

وتكاد تتشابه بلاد المغرب فى مظاهرها الجغرافية أو الطبيعية فهناك سلاسل جبلية تخترق بلاد المغرب من أقصاه إلى أدناه وهى

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٩٨.

(2) راجع: حسين مونس، نفسه، ص٢١-٢٣؛ العبادى، نفسه، ص١٨.

سلسلة جبال اطلس، ويقع إلى الشمال منها جبال الريف التى تمتد بموازاة ساحل البحر المتوسط والتى تمتد من طنجة حتى تلمسان غربى الجزائر تاركة سهلاً ساحلياً ضيقاً على البحر المتوسط(١).

سكان بلاد المغرب قبل الفتح الاسلامى

كان سكان المغرب قبل الفتح الإسلامى يتألفون من عنصرين مختلفين:

الأول: العناصر الوافدة على المغرب وهم الذين استعمروا السواحل المغربية بصفة خاصة من الروم أو البيزنطيين الذين ورثوا أملاك الرومان، وكانوا يمثلون أقلية بالنسبة للسكان الأصليين.

الثاني: السكان الأصليون وهم الذين يُطلق عليهم اسم البربر، وكانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان المغرب.

وكان البربر ينقسمون إلى قسمين كبيرين مثلما العرب ينقسمون إلى قحطانية (يمنية) وعدنانية (مضرية)، فهناك البربر البتر نسبة إلى جدهم مادغيس بن بر الملقب بالأبتر وكانت غالبيتهم من البدو الرحل الذين يعتمدون على الرعى، ويعيشون فى المناطق الصحراوية ومن أشهر قبائلهم، قبيلة زناته، وهناك أيضا البربر البرانس نسبة إلى جدهم برنس بن بر، ومعظم قبائلهم تتمتع بالاستقرار وتعمل بالزراعة فى القرى والمناطق الريفية، وإن كانت توجد منهم قبائل صحراوية، ومن أشهر

---

(١) انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص١٣-١٦.

قبائل البربر البرانس: قبيلة صنهاجة(1).

أما الحالة الدينية فى بلاد المغرب قبل الإسلام، فكانت بعض القبائل البربر على المسيحية نظرا لخضوعهم للروم أو البيزنطيين، كما اعتنق بعضهم الديانة اليهودية لدخول التجار اليهود إلى المغرب وعلاقتهم التجارية مع قبائل المغرب من البربر، وعلاوة على ذلك انتشرت أيضاً خاصة بين القبائل الصحراوية عبادة الأوثان والنار أو المجوسية والظواهر الطبيعية(2).

وجدير بالملاحظة أن السكان الأصليين لبلاد المغرب أطلق عليهم الإغريق والرومان اسم البربر Barbaros أو Barbari لأنهم كما يذكر بعض الباحثين يحدثون أصواتاً غير مفهومة يغلب عليها حرفى الباء والراء أى أنهم يبربرون فى كلامهم، أو لأن المستعمرين الرومان الذين سيطروا على سواحل المغرب اعتبروا السكان الأصليين من أهل المغرب غرباء على حضارتهم الرومانية، أما البربر فأطلقوا على أنفسهم اسم "الأمازيغ، أى الرجال الأحرار الأشداء"(3).

---

(1) راجع التفاصيل فى: ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٨٩، وما بعدها، عبد العزيز سالم، نفسه، ص١٩.

(2) انظر: ابن خلدون، نفسه، ج٦، ص١٠٧-١٠٨؛ العبادى، نفسه، ص٢٢؛ اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة، ص٢٥.

(3) سالم: نفسه، ص١٨-١٩؛ العبادى، نفسه، ص١٩.

التعريف بجغرافية وسكان بلاد الأندلس

تقع شبه جزيرة إيبيريا أو بلاد الأندلس كما كانت تسمى فى العصر الإسلامى فى الجنوب الغربى من أوروبا، وهى عبارة عن شبه جزيرة، إذ تحيط بها المياه من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشمالية الشرقية حيث تمتد سلسلة جبال البرتات التى تفصل بين الأندلس وبلاد غالة (فرنسا)، ويحدها من الشرق البحر المتوسط (بحر الشام أو بحر الروم)، ومن الغرب والشمال الغربى المحيط الأطلسى، ومن الشمال خليج بسكونيه أو بسكاى، أما من الجنوب فمزيج مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسى حيث يوجد مضيق جبل طارق الذى يفصل بين جنوب الأندلس والمغرب الأقصى(١).

وتنتشر الجبال بتضاريس الأندلس، التى هى عبارة عن هضبة كبرى تسمى هضبة المزيتا يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالى ستمائة متر، وتطل بحافاتها على السواحل مما كان له أثره فى ضيق السهول الساحلية الأندلسية(٢).

وتضم بلاد الأندلس عدة سلاسل جبلية، فمن الجنوب تمتد سلسلة جبال سيرامورينا Sierra Morena أى الجبال السمراء،

---

(1) انظر. ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الانفس، ص٢٨١؛ عبد العزيز سالم، مادة الأندلس (دائرة معارف الشعب)، ص٣.

(2) حسين مونس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٢٩.

وسلسلة جبال سيرانيفادا (جبل شلير أو جبل الثلج) بمنطقة غرناطة فى الجنوب الشرقى، أما فى الشرق فتوجد جبال شرق الأندلس التى تسمى أيضا بالجبال الإيبيرية، فى حين تمتد فى الوسط جبال طليطلة المعروف بجبال الشارات.

أما المناخ: فيسود بلاد الأندلس مناخ البحر المتوسط ومناخ غرب أوروبا، فشرق الأندلس وجنوبه يقعان فى نطاق مناخ البحر المتوسط، بينما يسود المنطقة الشمالية والشمال الغربية والغربية مناخ غرب أوروبا، فى حين تخضع المناطق الداخلية فى وسط الأندلس للمناخ القارى. وقد كان لتنوع المناخ تأثيره الواضح على الإنتاج الزراعى فى تلك البلاد مترامية الأطراف حيث ساعد على تنوع الحاصلات الزراعية، ويؤكد ذلك قول البكرى فى وصفها بأنها "شامية فى طيبها وهوائها،.... هندية فى عطرها وذكائها، أهوازية فى عظيم جبايتها.... عدنية فى منافع سواحلها..." (١).

وتشتمل بلاد الأندلس على عدة أنهار (أو أودية كما فى المصطلح الأندلسى) بعضها يجرى إلى الشرق ويصب فى البحر المتوسط، والآخر يجرى نحو الغرب ويصب فى المحيط الأطلسى ومعظمها ينبع من جبال وسط الأندلس ومن أهم تلك الأنهار: نهر إبره Ebro الذى يروى

---

(١) راجع: البكرى، جغرافية الأندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك، ص٧٠، المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٢٨؛ سالم، مادة الأندلس، ص٣-٤؛ العبادى، نفسه، ص٢٣؛ مونس، نفسه، ص٢٢٩.

سرقسطه وما جاورها، ونهر طوريه Turia أو الوادى الأبيض الذى تقع عليه مدينة بلنسية، ونهر شقورة الذى يروى مرسية، والوادى الكبير الذى تطل عليه قرطبة وإشبيلية، ونهر التاجه Eltago الذى تقع عليه طليطلة(١).

وتجدر الاشارة هنا إلى أن لفظ الأندلس كان يقصد به المناطق التى كانت تحت الحكم الاسلامى فى شبه الجزيرة الايبيرية، وعندما ضعفت دولة الإسلام هناك اقتصرت فقط على مملكة غرناطة أو مملكة بنى الأحمر آخر مملكة إسلامية على الأرض الإسبانية، وكانت تقع فى جنوب شرق شبه الجزيرة الإيبيرية.

وكلمة أندلس تعريب لاسم واندالوس أن قبائل الواندال الجرمانية التى سيطرت على جنوب إسبانيا وسُمى باسمها، وعقب الفتح الإسلامى عرب المسلمون هذا الاسم وأطلقوا على تلك البلاد اسم الأندلس(٢).

أما فيما يتعلق بالسكان: فيرى بعض الباحثين أن سكان إسبانيا كانوا يتكونون من عناصر حامية ليبية جاءت من شمال أفريقيا، واختلطت مع عناصر أوروبية كلتية وفدت من شمال أوروبا، ومن هذا المزيج تكون الشعب الاسبانى أو الإيبيرى الذى نسبت إليه شبه الجزيرة الإيبيرية

---

(١) انظر: الرازى، وصف الأندلس، نشر ليفى بروفنسال، مجلة الأندلس ١٩٥٣، ص٦٢، ١٠١-١٠٣؛ ابن غالب، نفسه، ص٣٠٧؛ سالم، مادة الأندلس، ص٤٠.

(٢) العبادى، نفسه، ص٢٢-٢٣؛ مونس، نفسه، ص٢٢٨-٢٢٩.

(إيبيريا) [1].

جذور الصلات التاريخية والحضارية بين بلاد المغرب والأندلس

ارتبطت الأندلس ببلاد المغرب بصلات تاريخية وحضارية وثيقة منذ القدم وترجع إلى العصر الفينيقى. ذلك أن التوسع الفينيقى ثم القرطاجى فى سواحل شمال أفريقيا والسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية لشبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا) ساعد على قيام نوع من التواصل بين بلاد المغرب وإسبانيا، كذلك حدث إتصال تاريخى بين البلدين فى القرن الخامس الميلادى عندما اضطرت قبائل الوندال الجرمانية إلى الهجرة جنوباً نحو المغرب تحت ضغط قبائل جرمانية أخرى من القوط الغربيين الذين سيطروا على إسبانيا قبل الفتح الاسلامى[2].

أما فى العصر الإسلامى فإن أقدم الهجرات الأندلسية إلى المغرب كانت فى سنة ١٣٦ه (٧٥٥-٧٥٦م) عندما اضطرت أعداد كبيرة من مسلمى الأندلس إلى الرحيل عنها إلى مدينة طنجة وغيرها من مدن المغرب الأقصى القريبة من سواحل الأندلس الجنوبية، وظلت الهجرات مستمرة من كلا الجانبين فى القرنين الثانى والثالث الهجريين تحت وطأة

---

(1) أنظر: العبادى، نفسه، ص٢٦.

(2) العبادى: نفسه، ص٢٦-٢٩؛ سالم، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص٧-٨؛ عبد العزيز بن عبد الله، الأندلس والمغرب (وحدة ام تكامل) مجلة المناهل ١٩٨٤، ص٧٣.

القحط والمجاعة(١).

ومن الثابت أن علماء المغرب والأندلس كانوا كثيرى التنقل بين البلدين مما يوكد قوة الاتصال التاريخى والحضارى بينهما طوال العصر الإسلامى، وقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات بالعديد من الأمثلة التى توضح مدى الترابط بينهما، من ذلك ما ذكرته المصادر بأن المؤرخ الأندلسى محمد بن يوسف الوراق (عاش فى القرن ٤هـ/١٠م) واصله من مدينة وادى الحجارة الأندلسية انتقل آباوه إلى افريقية، فنشأ بالقيروان، وعُنى بالعلم ثم ما لبث أن عاد إلى وطنه الأصلى الأندلس فى عهد الخليفة الأموى الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ) (٢).

كذلك نلاحظ أنه منذ النصف الأول من القرن ٧هـ بدأت موجات متتابعة من الهجرات الأندلسية تتدفق على بلاد المغرب بسبب نشاط حركة الاسترداد الإسبانى المسيحى فى الأندلس المعروفة باسم حركة الريكونكستا **La Reconqnista**، وسقوط الكثير من مدن الأندلس ورفض الكثير من سكانها المسلمين الخضوع للحكم الإسبانى المسيحى، وكان لهجراتهم إلى المغرب أعظم الأثر فى نقل العديد من التأثيرات

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣٨؛ بن عبد الله، نفسه، ص٧٥.

(٢) ابن الابار: التكملة، ج٢، ص٦١١-٦١٢ ترجمة رقم ١٦٠٦.

والمظاهر الحضارية الأندلسية إلى بلاد المغرب(١).

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج٤: (طبعة محى الدين عبد الحميد) ص١٤٧؛ محمد الطالبى، الهجرة الأندلسية الى افريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة ١٩٧٥، ص١؛ الحبيب بن الخوجه، الهجرة الاندلسية الى افريقية فى القرن ٧هـ/ ١٣م، مجلة كراسات تونس ١٩٧٠، ص١٢٩.

الفصْلُ الأوّلُ

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

الفصل الأول

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

يتضح من المصادر الاسلامية أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم يتسم بالسهولة والسرعة على عكس فتوحات المسلمين فى المشرق خاصة فى العراق والشام ومصر، حيث استمر فتح المسلمين لبلاد المغرب مدة طويلة تصل إلى حوالى سبعين عاماً، وهذا يرجع إلى عدة أسباب منها:

١- صعوبة تضاريس بلاد المغرب حيث تكثر بها الجبال والمرتفعات مما يصعب من عملية زحف الجيوش الإسلامية.

٢- تميز البربر سكان المغرب بالشجاعة وقوة البأس والتحمل وشدة المقاومة والاستبسال فى القتال.

٣- تحالف البربر مع الروم (البيزنطيين) فى التصدى للحملات الإسلامية، والتفوق البحرى للروم فى بداية الفتوحات(١).

٤- بعد ميادين القتال فى المغرب عن مركز الخلافة الإسلامية فى المشرق سواء فى المدينة أو دمشق مما صعب من مهمة إمداد الجيوش الاسلامية.

---

(١) انظر، العبادى: نفسه، ص٣٤؛ سالم، تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس، ص٢٥.

٥- نشوب بعض الفتن الداخلية فى الدولة الإسلامية مثل فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان والصراع بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام.

ويمكن تقسيم مراحل الفتح الاسلامى لبلاد المغرب إلى مرحلتين أساسيتين المرحلة الأولى: هى مرحلة الغارات، والمرحلة الثانية: تسمى مرحلة الفتح المنظم.

أولاً: مرحلة الغارات (٢١-٤٩هـ)

(١) حملة عمرو بن العاص (٢١-٢٣هـ)

بدأ المسلمون فى فتح بلاد المغرب منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأثناء ولاية عمرو بن العاص على مصر فى سنة ٢١هـ حيث أن إقليم برقة الذى يعتبر هو بداية بلاد المغرب بمثابة امتداد لحدود مصر الغربية، وكذلك لتأمين تلك المنطقة الغربية لمصر من خطر الروم (البيزنطيين) الذين كانوا يسيطرون على معظم افريقية أو المغرب الأدنى خاصة المناطق الساحلية[١].

فعقب انتهاء عمرو بن العاص من فتح مصر سنة ٢١هـ، تذكر المصادر التاريخية أنه بعث عقبة بن نافع الفهرى إلى منطقتى لوبيه (بين الإسكندرية وبرقة) وبرقة لاستطلاع الأوضاع بهما، ويبدو أنه اطمأن إلى تقرير عقبة عن تلك المناطق، فزحف على رأس جيشه إلى برقة التى كانت تسكنها قبيلة لواته من البربر البتر، والتى أسرعت إلى إعلان الولاء والخضوع للمسلمين، فصالحهم عمرو على "الجزية دينار على كل حالم" (أى بالغ)، ويؤكد ذلك قول المورخ ابن عبد الحكم المصرى" فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يودونها إليه جزية..."، كما أقبل بعضهم على الدخول فى الإسلام، وبذلك نجح عمرو فى إخضاع بربر برقة صلحاً أى دون قتال، وأصبحوا

---

(١) انظر، العبادى: نفسه، ص٣٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٢٥.

من الموالين للمسلمين وعونا لهم(١).

وعقب ذلك زحف عمرو بجيشه حتى وصل إلى مدينة طرابلس سنة ٢٣هـ، وكانت مدينة حصينة محاطة بأسوار منيعة، عدا الموضع المطل على ساحل البحر فلم يكن مسوراً، وتمكن عمرو من دخول المدينة من تلك الجهة بعد حصار استمر لمدة شهر، واضطر الروم إلى الهرب فى سفنهم بعد مقتل أعداد منهم، "وغنم عمرو ما كان فى المدينة"(٢).

وعقب فتح طرابلس بعث عمرو بفرقة من جيشه تمكنت من فتح سَبْرت (أو صبرة) غرب طرابلس وغنمت ما فيها، كما تمكنت فرقة أخرى بقيادة بسْر بن أبى أرطأة من فتح ودّان (عاصمة إقليم خزان وتقع جنوب طرابلس)، بينما نجح عقبة بن نافع فى فتح بقية المنطقة الصحراوية فى إقليم فزان جنوب طرابلس فى سنة ٢٣هـ(٣).

وتذكر المصادر التاريخية أن القائد عمرو بن العاص فكر بعد استيلائه على إقليم طرابلس أن يواصل فتوحاته غرباً فى داخل أو قلب بلاد إفريقية (تونس حالياً) فأرسل يستأذن أولاً من أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة خشى على جيوش المسلمين من

---

(1) أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس ص٢٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٨؛ مونس، معالم، ص٣١؛ العبادى، نفسه، ص٣٥؛ سالم، نفسه، ص٢٦-٢٧.

(2) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٠-٣١؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨.

(3) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٢؛ سالم، نفسه، ص٢٧.

التشتت فى تلك البلاد مترامية الأطراف، ولذا رفض تلك الفكرة، وأمره بالاكتفاء بما حققه من فتوحات والعودة إلى مقر ولايته فى مصر(١).

(٢) <u>حملة عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٢٧هـ:</u>

فى عهد الخليفة عثمان بن عفان واصل المسلمون حملاتهم على بلاد المغرب، فخرج عبد الله بن سعد والى مصر على رأس حملة إلى بلاد المغرب، فنزل أولاً بطرابلس، ثم دخل أراضى إفريقية فى حوالى عشرين ألف من الجند، وكانت افريقية تحت حكم أمير يدعى جرجير أو جريجوريوس البيزنطى، والتقى به المسلمون عند حصن سبيطلة الذى كان يتحصن فيه مع جيشه، وتمكن المسلمون من انزال الهزيمة بالروم (البيزنطيين) فى معركة سبيطلة عام ٢٨هـ بفضل حيلة- لعبد الله ابن الزبير(٢).

ونتج عن انتصار ابن سعد فى موقعة سبيطلة فتح تلك المدينة وحصنها المنيع. وغنم المسلمون غنائم هائلة، وأرسل من هناك عدة سرايا وغارات إلى عدة مناطق بافريقية، ورجعت ظافرة غانمة، وأنزلت الرعب فى قلوب الروم، الذين اضطروا للتحصن فى معاقلهم وحصونهم،

---

(1)ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨.

(2)راجع حول ذلك: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٥-٣٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨-١١؛ مونس، نفسه، ص٣٢-٣٣؛ العبادى، نفسه، ص٣٦؛ سالم، نفسه، ص٢٩-٣٠؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص١٥٠ وما يليها.

وأرسلوا إلى ابن سعد يلتمسون عقد الصلح مع المسلمين على أن يدفعوا الجزية وينسحب من بلادهم، فوافق على عقد الصلح وأخذ منهم الجزية، وعاد إلى مصر خاصة وأن الأنباء قد وصلته بغارات النوبيين على جنوب مصر(١).

(٣) حملة معاوية بن خديج عام ٤٥هـ:

في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان تم إرسال حملة إلى بلاد المغرب بقيادة معاوية بن حديج وهو من المقربين للخليفة، فدخل إفريقية عام ٤٥هـ حيث عسكر في موضع يسمى قمونية جنوب قرطاجنه، ومن هناك أرسل عدة سرايا من أهمها سرية بقيادة عبد الله بن الزبير الذي فتح خلالها بعض المدن الساحلية مثل قابس وسوسه وبنزرت، بعد انتصاره على جيش الروم عند سوسه، وهناك سرية أخرى بقيادة الأمير الأموي عبد الملك بن مروان الذي فتح خلالها حصن جلولاء المنيع في وسط إفريقية(٢).

وعقب ذلك تم عزل ابن حديج وإسناد القيادة في المغرب للقائد عقبة بن نافع، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في الفتوحات تسمى مرحلة الفتح المنظم.

---

(١) راجع. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٦؛ ابن عذاري، نفسه، ج١، ص١٢؛ العبادي، نفسه، ص٣٦.

(٢)راجع. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٤٧-٤٩؛ ابن عذاري، نفسه، [illegible] ص١٧-١٩؛ مونس، معالم، ص٣٤؛ العبادي، نفسه، ص٣٧؛ سالم، نفسه، ص٣٢-[illegible].

ثانياً: مرحلة الفتح المنظم لبلاد المغرب (٥٠-٩٠هـ)

(١) ولاية عقبة بن نافع الأولى على المغرب (٥٠-٥٥هـ)

تمثل مرحلة الفتح المنظم أهم مرحلة فى فتوحات المسلمين فى بلاد المغرب، حيث بدأ الفتح الحقيقى لتلك المناطق ولم تعد الحملات الإسلامية على المغرب كما كانت فى المرحلة السابقة مجرد غارات، وتعود إلى مصر محملة بالمغانم والسبايا، بل أصبح هدفها الأساسى الاستقرار أى استقرار الجيوش الإسلامية فى تلك المناطق، ونشر الإسلام بين أهلها من البربر.

ولعل اختيار الخليفة معاوية للقائد عقبة بن نافع لتولى الأمور فى المغرب يرجع إلى خبرته الحربية الطويلة هناك حيث مكث بها حوالى ربع قرن، مشاركاً فى كل الحملات على المغرب منذ حملة عمرو بن العاص حتى حملة معاوية بن حديج، علاوة على براعته الحربية وحماسه الشديد لنشر الإسلام بين الوثنيين من البربر فى بلاد المغرب(١)، كما كان يرى ضرورة استقرار المسلمين فى بلاد المغرب مما يساعد على دخول البربر فى الإسلام وتعريبهم، فتذكر المصادر التاريخية أن عقبة أوضح لجنده أن إفريقية إذا دخلها إمام (أى أمير أو حاكم) أجابوه إلى الإسلام،

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ص١٩؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٣، سالم، نفسه، ص٣٣-٣٤؛ العبادى، نفسه، ص٣٧.

فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر! فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر"(١).

وعلى هذا قرر عقبة بناء مدينة القيروان (كلمة مُعربة عن الفارسية ومعناها المعسكر) التى اختار لها موضعاً ملائماً، بحيث تكون بعيدة عن ساحل البحر حتى لا تتعرض لغارات الروم البحرية، كما أنها بعيدة عن داخل الصحراء تجنباً لهجمات البربر الذين كانوا حلفاء للروم، ومن ناحية أخرى كانت توجد مناطق رعوية ومستنقعات قرب موقع القيروان ولذا فهى صالحة للرعى(٢).

وتشير بعض المصادر إلى أن الموضع الذى اختاره لبناء مدينة القيروان كان عبارة عن منطقة غابات تكثر بها الأشجار الكثيفة والزواحف والهواء والحيوانات المفترسة، فدعا هو وأصحابه الله تعالى بأن ترحل عن المكان فرحلت، وهذه الرواية يغلب عليها الطابع الأسطورى، حيث أنه من المرجح أن عقبة أمر أتباعه بإشعال النيران فى الأشجار لتمهيد الأرض للبناء، مما أدى إلى فزع الحيوانات ورحيلها عن المكان(٣).

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٩.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٩-٢٠؛ سالم، نفسه، ص٣٤.

(3) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٤؛ ابن عذارى، نفسه، ١،ص٢٠؛ سعد زغلول، نفسه، ص١٨٤-١٨٥؛ سالم، نفسه، ص٣٥.

وقد بدأ عقبة أولاً ببناء المسجد الجامع (جامع القيروان أو جامع عقبة) فى وسط المدينة كعادة المسلمين دائماً عند تأسيس مدنهم، وبجوار الجامع شيّد دار الامارة، ثم قام أتباعه من الجند ببناء الدور أو المساكن، وأصبحت مدينة عامرة اجتذبت الناس- خاصة من البربر- لسكناها، ودخل الكثير منهم فى الإسلام، كما نتج عن بناء تلك المدينة الإسلامية أن أصبح للمسلمين قاعدة حربية ثابتة فى قلب الأراضى المغربية، ومركزاً لخروج الحملات الإسلامية لمواصلة الفتوحات هناك(١).

وقد استغرق بناء مدينة القيروان حوالى خمس سنوات، ولم يكد عقبة ينتهى من بنائها فى سنة ٥٥هـ حتى أمر الخليفة معاوية بن أبى سفيان بعزله عن ولاية إفريقية، قيل بسبب وشايات مسلمة بن مُخَلَّد الأنصارى والى مصر وإفريقية الذى كان ساخطاً على سياسة الشدة والعنف التى يستخدمها عقبة فى معاملة البربر(٢)، ولذا قام بإسناد ولاية افريقية إلى أبى المهاجر دينار (وهو من موالى مسلمة بن مخلد).

---

(١) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٧ العبادى، نفسه، ص٣٧؛ مؤنس، نفسه، ص١٦.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٨.

(٢) ولاية أبى المهاجر دينار (٥٥-٦٢هـ):

عقب تولية أبى المهاجر على إفريقية، اساء عزل عقبة وسجنه إلى أن وصلت رسالة من الخليفة معاوية باطلاق سراحه، وإرساله إلى العاصمة الأموية دمشق، فاتجه أولاً إلى مصر حيث اعتذر له مسلمه عما بدر من أبى المهاجر، كما استرضاه الخليفة، ووعده بإعادته إلى ولايته.

على أية حال استخدم أبو المهاجر دينار أثناء ولايته على إفريقية سياسة جديدة نحو البربر تختلف عن سياسة سلفه عقبه، حيث اتبع معهم أسلوب السياسة واللين.

وتذكر المصادر التاريخية أن أبا المهاجر لم يستقر بمدينة القيروان التى بناها عقبة، وإنما أسس موضعاً جديداً كى يُنسب إليه ينزل فيه هو وجنده على مسافة ميلين من القيروان، وأمر الناس بتعميره وهجروا القيروان[١].

وقام أبو المهاجر أثناء فترة ولايته بافريقية بعدة حملات فى سنة ٥٩هـ، وتمكن خلالها من فتح عدة مناطق جديدة هناك مثل جزيرة شريك بعد أن أنزل الهزيمة بالروم قرب حاضرتهم قرطاجنة، وأجبرهم على عقد الصلح، وتخليهم عن تلك الجزيرة وبسط سيطرته بذلك على الإقليم الواقع إلى الجنوب من قرطاجنة، كما فتح مدينة ميله بالمغرب

---

(١) انظر. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٦،٥٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٢.

الأوسط ووصل حتى مدينة تلمسان (غرب المغرب الأوسط أو الجزائر حالياً)، حيث أنزل الهزيمة بالبربر البرانس (من قبيلة أوربة) هناك واجتذب بحسن سياسته زعيمهم كُسيلة إلى الإسلام، فأسلم هو وأتباعه، ثم لم يلبث أن عاد وبصحبته كسيلة إلى قاعدته بإفريقية[1].

(٣) ولاية عقبة بن نافع الثانية (٦٢-٦٤هـ):

بعد وفاة الخليفة معاوية وتولى ابنه يزيد الحكم سنة ٦٠هـ، قام بإعادة عقبة إلى ولاية افريقية فى سنة ٦٢هـ تقديراً لدوره فى الفتوحات فى بلاد إفريقية والمغرب.

واتجه عقبة من الشام قاصداً افريقية، ومعه بعض أتباعه، وعندما وصلها أمر بتخريب المدينة التى بناها أبو المهاجر، وعامله معاملة سيئة مثلما فعل معه من قبل، ثم أمر الناس بالعودة إلى مدينة القيروان وأعاد تعميرها من جديد، وتذكر المصادر أن عقبة أخذ يدور بأتباعه حول القيروان وهو يدعو لها بأن تكون بلد علم وفقه، وأن يجعلها الله تعالى عزاً للإسلام[2].

ولم يلبث عقبة أن قام بغزوته الكبرى فى بلاد المغرب سنة ٦٢هـ، حيث ترك نائباً عنه بالقيروان وهو زهير بن قيس، وتمكن عقبة من

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨٦؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٩٠-١٩١.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٣.

الانتصار على الروم والبربر فى عدة معارك بافريقية، خاصة عند مدينة المنستير التى كانت من مدن الروم المحصنة بافريقية، واقتحم حصنهم المنيع هناك، كما أنزل الهزيمة بالروم وحلفائهم البربر عند إقليم تاهرت بالمغرب الأوسط، غير أن عقبة أساء معاملة كسيلة زعيم البربر البرانس، وذلك باهانته أمام أتباعه البربر، حيث كان يأمره كل يوم بسلخ الغنم إذا ذبحت، مما دفع كسيلة إلى الحقد على عقبة ومحاولة انتهاز الفرصة للانتقام(١).

وقد استمر عقبة فى غزوته ببلاد المغرب، فى الوقت الذى هرب فيه الروم والبربر إلى الحصون، إلى أن وصل فى حملته إلى شواطئ المحيط الأطلسى بالمغرب الأقصى، وأنزل الهزيمة بالبربر هناك بمنطقة السوس، وتذكر المصادر أن عقبة عندما وصل إلى شاطئ المحيط دخل بفرسه فى الماء ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب لولا أن البحر منعنى لمضيت فى البلاد... مدافعاً عن دينك، مقاتلاً من كفر بك." (٢).

وبعد أن أقام عقبة مسجداً ورباطاً بالمغرب الأقصى لنشر الإسلام، وتعليم أهل البلاد البربر مبادئ الاسلام، بدأ فى رحلة العودة إلى القيروان بعد أن استمر فى غزوته تلك فيما بين عامين إلى ثلاثة أعوام،

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٤؛ ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص١٨٦.

(٢) راجع. الرقيق القيروانى، تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٠ وما بعدها؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٧.

وعندما وصل بجيشه إلى المغرب الأوسط استأذنه معظم الجند في سرعة العودة إلى القيروان لطول غيابهم عن أهليهم فأذن لهم بذلك، بينما بقىَ هو- وبصحبته أبى المهاجر دينار وكان مقيداً- فى قلة من أتباعه، وفى تلك الأثناء انتهز كسيلة زعيم البربر البرانس (من قبيلة أوربة) الفرصة وتمكن من الهرب مع أصحابه البربر واتجه إلى قبيلته وحشد جيشاً كبيراً، ووجد موازرة من الروم، فى الوقت الذى زحف فيه عقبة بأتباعه نحو جنوب المغرب الأوسط عند مدينة تهوده لتأسيس قاعدة إسلامية أخرى هناك لنشر الإسلام بين البربر، غير أنه فوجئ بجيش ضخم من البربر والروم يحاصره، ورغم ذلك فقد استبسل عقبة هو وأتباعه- رغم قلة عددهم فى المعركة، وقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً سنة ٦٤هـ ودفن عقبة فى هذا الموضع عند مدينة تهوده التى تسمى الآن سيدى عقبة تخليداً لذكرى هذا الفاتح الإسلامى الشهير(١).

ورغم انتهاء حملة عقبة بتلك النهاية المأساوية إلا أنها تركت العديد من النتائج الإيجابية حيث ساعدت على تعريف البربر فى أقصى المغرب بمبادئ الإسلام السمحة مما هيأ المجال لدخول أعداد كبيرة منهم فى الإسلام، كما مهدت الطريق للقادة المسلمين الذين أتوا بعده للوصول

---

(١) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٨-٥٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٥ وما بعدها؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٠٥.

إلى تلك المناطق البعيدة فى بلاد المغرب الأقصى(١). ومن ناحية أخرى فإن أنباء هزيمة ومقتل عقبة عندما وصلت إلى الحامية الإسلامية فى القيروان بقيادة زهير بن قيس كان لها تأثير سيئ، ودفعت زهير إلى الانسحاب بقواته من القيروان والتمركز فى برقة، بينما تمكن كسيلة وجيشه من دخول القيروان دون مقاومة بعد أن طلب من بقى فيها من سكانها الأمان فأمنهم، واستقر كسيلة بذلك فى مدينة القيروان، وأصبح أميراً على إفريقية كما تذكر المصادر التاريخية(٢).

(٤) حملة زهير بن قيس واسترداد القيروان سنة ٦٩هـ:

فى تلك الفترة كان على رأس الخلافة الأموية فى العاصمة دمشق الخليفة عبد الملك بن مروان (تولى الخلافة سنة ٦٥هـ)، والذى صمم على استرداد القيروان وإعادتها إلى سيطرة الدولة الإسلامية. وعلى هذا حشد جيشاً كبيراً بالشام وبعث به الى زهير بن قيس فى برقة الذى آلت إليه القيادة فى بلاد المغرب أو افريقية عقب استشهاد صاحبه عقبة، وأرسل إليه الخليفة يأمره بالخروج على رأس هذا الجيش لاسترداد مدينة القيروان وافريقية من يد كسيلة والبربر البرانس وذلك فى سنة ٦٩هـ(٣).

وعندما وصل جيش المسلمين بقيادة زهير قرب القيروان تصدى

---

(1) مونس، نفسه، ص٤٠-٤١؛ العبادى، نفسه، ص٣٩.

(2) الرقيق القيروان، نفسه، ص٤٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص٤٠.

(3) الرقيق، نفسه، ص٤٧.

له كسيلة على رأس جيش من البربر والروم عند موضع يسمى ممس أو ممش، حيث دارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة كسيلة وحلفائه الروم ومقتله، وتعقب المسلمون أتباع كسيلة، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، كما نتج عن انتصار المسلمين فى تلك المعركة استردادهم لمدينة القيروان سنة ٦٩هـ، والثأر لشهداء تهودة وعلى رأسهم عقبة وأبى المهاجر (١).

وتذكر المصادر التاريخية أن زهير بن قيس قام بتنظيم أمور مدينة القيروان، وأعاد إليها الأمن والاستقرار، وأقام بها جماعة كبيرة من أصحابه، واستغل الروم بجزيرة صقلية فرصة انشغاله بحرب كسيلة وأغاروا عن طريق البحر على إقليم برقة، وقاموا بأعمال التخريب والنهب والسلب، وعندما علم زهير بذلك، أسرع لملاقاتهم فى فرقة صغيرة من جيشه، ولكنه فوجئ بأعداد كبيرة من جند الروم، فى الوقت الذى كان يستغيث فيه المسلمون الذين وقعوا فى أسر الروم، ليسرع فى إنقاذهم، فاضطر إلى الدخول فى معركة غير متكافئة، انتهت بهزيمة المسلمين واستشهادهم جميعاً وعلى رأسهم قائدهم زهير سنة ٦٩هـ، ثم قام الروم بالرحيل إلى بلادهم عن طريق البحر بعد أن مكثوا فى برقة أربعين يوماً

---

(١) الرقيق، نفسه، ص٥٠-٥٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٢؛ مؤنس، معالم، ص٤١.

محملين بالأسلاب والسبي وما نهبوه من برقة(١).

دور حسان بن النعمان الغساني في فتح المغرب (٧٣-٨٥هـ)

عندما وصلت الأنباء إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق بهزيمة المسلمين عند برقة واستشهاد زهير بن قيس، صمم على تدعيم نفوذ المسلمين فى بلاد افريقية والمغرب، فأسند ولايتها إلى القائد حسان بن النعمان الغساني، وبعث معه بجـ ش كبير من أربعين ألف مقاتل ويسانده أسطول بحرى فى سنة ٧٣هـ، ونزل حسان أولاً بمصر التى تزود منها بالموال اللازمة لتلك الحملة الضخمة، حيث يذكر المؤرخ ابن عذارى أن الخليفة عبد الملك أرسل إلى حسان يقول له: إنى أطلقت يدك فى أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك... واخرج إلى بلاد افريقية على بركة الله وعونه."، ويضيف بأنه "قدم إفريقية فى عسكر عظيم، فلم يدخل المسلمون قط افريقية بمثل ما دخلها حسان بن النعمان.." (٢).

ولم يلبث حسان أن خرج من مصر على رأس جيشه ودخل افريقية سنة ٧٤هـ، حيث استقر أولاً: بمدينة القيروان، وحرص على استخدام خطة عسكرية حكيمة تعتمد على مقابلة أعدائه من الروم والبربر البتر منفردين حتى يسهل عليه القضاء عليها الواحد تلو الآخر، ومما

---

(١) الرقيق، نفسه، ص٥٢-٥٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٣؛ سعد زغلول، نفسه، ج١ ن ص٢١٢-٢١٣.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٤؛ مختار العبادى، نفسه، ص٤٠.

يؤكد ذلك قول المصادر التاريخية بأنه عقب نزوله بالقيروان سأل أهل افريقية عن أقوى وأخطر قوتين بها، فأخبروه بأنهما الروم فى قرطاجنة ثم البربر البتر بزعامة إمرأة تدعى داهيا أو داهية وتلقب بالكاهنة فى منطقة جبل أوراس (بأطراف جبال أطلس الشرقية بالجزائر).

وبدأ حسان بالهجوم على أهم مدن الروم فى افريقية وهى مدينة قرطاجنة الحصينة (مركز الحكم فى افريقية) وتمكن من إنزال الهزيمة بهم، وقتل أعداداً كبيرة منهم، وحاصر المدينة حصاراً شديداً حتى اقتحمها، وفتحت على يديه(١).

ثم انتقل حسان لمواجهة العدو الثانى ويتمثل فى البربر البتر فى جبل أوراس بزعامة الكاهنة، التى خضع لها البربر فى تلك المنطقة الجبلية النائية، كما كان يخشاها الروم، ولذا أدرك أنه إذا تمكن من القضاء عليها سيدعم نفوذه فى بلاد افريقية والمغرب، وعلى هذا اتجه إليها حسان بجيشه، وعندما علمت الكاهنة بزحف المسلمين، رحلت عن الجبل فى جيش ضخم من البربر البتر وسبقته إلى مدينة باغاية (قرب جبل أوراس) فأخرجت منها الروم وخربتها خشية أن يتحصن بها حسان، فى الوقت الذى وصل فيه جيش المسلمين بقيادة حسان والتقى بجيش الكاهنة عند وادى مسكيانه (يعرف أيضاً بنهر البلاء أو وادى العذارى)، ودارت

---

(١) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ن ص٣٤؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة المسلمين وقتل العديد منهم، كما وقع بعضهم فى الأسر، بينما انسحب حسان ببقية جيشه إلى برقة سنة ٧٤هـ، وأرسل يطلب المدد من الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق، وأقام حسان فى برقة خمس سنوات وبنى هناك قصورا (أى قرى حصينة) عرفت باسمه وهى قصور حسان[1].

ونتج عن انتصار الكاهنة أن سيطرت على جميع بلدان افريقية طوال تلك السنوات الخمس، وتذكر المصادر التاريخية أن الكاهنة عندما رأت إبطاء المسلمين أو العرب عنها، ظنت أنهم يهدفون أساساً إلى الاستيلاء على خيرات افريقية وثرواتها من الذهب والفضة، ولذا قررت تخريب بلدان افريقية حتى لا يطمع فيها العرب، ولا يفكرون فى العودة إليها ثانية، وقامت بعمل خطير أثار دها البربر البرانس والنصارى الروم الذين يستقرون فى القرى والمناطق الريفية والحصون، ويتمثل ذلك فى تخريب المزارع وقطع الأشجار، وهدم الحصون والقرى العامرة[2].

وقد استغل حسان تلك الفرصة من نشوب تنازع فى صفوف البربر واستنجاد البرانس به ووصول أخبار الكاهنة إليه عن طريق أحد الأسرى المسلمين، علاوة على توافد المدد إليه من الشام والذى بعثه إليه

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٥-٣٦؛ سعد زغلول، نفسه، ص٨ ٢-٢١٩.

(2) ابن عذارى: نفس المصدر السابق، ج١، ص٣٦؛ مونس، نفسه، ص٤٣-٤٤.

الخليفة عبد الملك، فزحف لملاقاة الكاهنة عند مركزها فى جبل الأوراس سنة ٧٩هـ.

وعندما التقى حسان بجيش الكاهنة عند جبل الأوراس وأحست بقرب النهاية، وأنها لن تتمكن من الصمود أمام المسلمين، أوصت أولادها بطلب الأمان من القائد حسان، الذى وافق على ذلك وأعطاهم الأمان، بينما ظلت هى تقاتل حتى انتهت المعركة بهزيمة جيشها ومقتلها عند موضع عرف ببئر الكاهنة سنة ٨٠هـ(١) وقيل سنة ٨٢ هـ.

وعقب هذا الانتصار الكبير الذى حققه حسان على البربر البتر وإخضاعهم بعد مقتل زعيمتهم الكاهنة، عاد إلى مدينة القيروان سنة ٨٢هـ، ثم قام بحملة على قرطاجنة، الذى سيطر عليها الروم مرة أخرى بعد هزيمة حسان أمام الكاهنة وانسحابه إلى برقة، ولذا هاجمها حسان واستردها منهم ثانية بعد فرار الروم عنها فى سفنهم، وأمر حسان بتخريب المدينة، وهدم حصونها حتى لا يتمكن الروم من العودة إليها(٢).

ولم تقتصر أعمال حسان على الجوانب الحربية فى محاربة البربر والروم، بل قام أيضاً بعدة أعمال حضارية على جانب كبير من الأهمية ساهمت فى تعريب المغرب ونشر الإسلام هناك وإضفاء الصبغة

---

(١) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٣-٦٤؛ الرقيق، نفسه، ص٥٧ وما يليها.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٨؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٢٨ ؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص٤٤.

العربية الإسلامية عليه ومنها: تدوين الدواوين وتنظيم الخراج والشئون المالية وتولية أبناء الكاهنة على بعض مناطق المغرب، وضم البربر إلى الجيش الإسلامى، وقام بتعمير وتجديد جامع القيروان، وبنى مدينة تونس، وأنشأ بها مسجداً جامعاً داراً لصناعة السفن التى كانت بمثابة نواة البحرية الإسلامية فى بلاد المغرب، كما سك النقود (العملة) ببلاد افريقية، وأمر الفقهاء المسلمين بتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية(١).

ولاية موسى بن نصير على المغرب سنة ٨٥هـ ودوره فى الفتح (فتح المغرب الأقصى)

تولى موسى بن نصير على افريقية أو المغرب سنة ٨٥هـ فى أواخر عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عقب عزل حسان عنها، وقد أسندها إليه الأمير عبد العزيز بن مروان والى مصر، وكان يميل إلى موسى ويثق فى كفاءته الحربية والإدارية(٢).

وتذكر المصادر أن موسى بدأ حملاته العسكرية فى افريقية وبلاد المغرب فى نهاية عهد الخليفة عبد الملك وقيل فى بداية عهد ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث أرسل فرقة من جيشه قامت بفتح قلعة زغوان ونواحيها قرب تونس وأنزلت الهزائم باهلها البربر، وغنم وسبي منهم

---

(1) راجع: الرقيق، نفسه، ص٦٤؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٨؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٢٨ وما بعدها.

(2) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤٠.

الكثير، فكان أول سبي دخل القيروان فى ولاية موسى كما بعث بحملة أخرى بقيادة ابنه عبد الله إلى بعض نواحى افريقية، وعادت ظافرة غانمة إلى القيروان، وعقب ذلك قام بالقضاء على قواعد المقاومة لدى البربر فى المغرب الأوسط، ولم يبق أمامه سوى المغرب الأقصى(١).

ولم يلبث موسى أن زحف بجيشه من إفريقية نحو المغرب الأقصى، واضطر البربر إلى الفرار نحو أقصى المغرب خوفاً من جيش المسلمين، فتتبعهم قتلاً وأسراً، وسبي منهم سبياً كثيراً، حيث استولى على مدينة سجومة (شمال المغرب الأقصى) كما تمكن من فتح مدينة طنجة التى أسند حكمها إلى مولاه طارق بن زياد (وهو من البربر) ثم قام موسى بغزو منطقة السوس الأدنى (شمال المغرب الأقصى فيما وراء طنجة)، واكتسح مناطق قبائل البربر فى تلك المناطق التى لم تكن قد دخلت فى الطاعة مثل هوارة وكتامة. وزناتة ومصموده، كما غزا ابنه مروان على رأس فرقة منطقة السوس الأقصى (جنوب المغرب الأقصى)، وتشير المصادر إلى قيام موسى بمحاولة لفتح مدينة سبتة الحصينة التى كان يحكمها الأمير يُليان (أو خوليان Julian) ويدين بالطاعة للروم (البيزنطيين) وقيل للقوط الغربيين حكام الأندلس (إسبانيا) غير أن تلك المحاولة لم تنجح لقوة حاميتها العسكرية وحصانة المدينة، وانتهى الأمر بعقد صلح وهدنة بين الطرفين وصار حليفاً للمسلمين، ويؤكد ذلك قول

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤٠؛ سعد ز غلول، نفسه، ج١، ص٢٤١.

المؤرخ ابن عبد الحكم "فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا"، كما تضيف المصادر أن موسى سار على نفس سياسة سلفه حسان في نشر الإسلام وتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية، وضم البربر الذين حسن إسلامهم إلى الجيش الإسلامي وبذلك انتهى المسلمون من فتح بلاد المغرب(١).

---

(١) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٩-٧٠؛ والرقيق، نفسه، ص٦٩-٧٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٤٠ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص٤٦-٤٧؛ العبادي، نفسه، ص٤٢.

الفصْلُ الثانى

الفتح الاسلامى لبلاد الأندلس (إسبانيا)

الأمير عبد الرحمن الفرصة واسرع إليه بجيشه وأحرق أسطوله، وهرب الصقلبى إلى كورة بلنسية حيث قتل هناك على يد أحد البربر[1].

وبعد ذلك اتجه شارلمان بجيشه عبر جبال البرتات نحو سرقسطة لكى يتسلمها من واليها الأعرابى تنفيذاً للاتفاق بينهما، غير أن أهالى المدينة بزعامة الحسين بن يحيى الأنصارى ثاروا ضد الأعرابى ورفضوا تسليم مدينتهم لملك فرنجى، مما أدى إلى غضب شارلمان، وأخذه الأعرابى كأسير وحصاره لسرقسطة، فى نفس الوقت وصلته أنباء بحدوث اضطرابات داخلية فى بلاده، فاضطر إلى رفع الحصار والعودة إلى بلاد الفرنجة مصطحباً معه الأعرابى، وعند مرور جيشه بأحد ممرات جبال البرتات (المعروف بباب الشزرى) تعرضت مؤخرة جيشه لهجوم قاده أبناء الأعرابى وحلفاء لهم من قبائل البشكنس الإسبانية وانتهى الهجوم بتحرير الأعرابى من الأسر، والقضاء على مؤخرة جيش شارلمان بقيادة رولان[2].

وعقب ذلك استولى الحسين بن يحيى الأنصارى على مقاليد الأمور فى سرقسطة سنة ١٦٥هـ، فحاصره الأمير، واضطر الأنصارى إلى الدخول فى الطاعة وإعلان الولاء، ولكنه لم يلبث أن تمرد وأعلن الثورة من جديد، فحاصره الأمير مرة ثانية ودخل سرقسطة عنوة، وأنزل الهزيمة

---

(1) البيان المغرب، ج٢، ص٥٦؛ العبادى، نفسه، ص٨٣.

(2) راجع: ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١٧ وما بعدها.

بأتباع الأنصارى وقتله، ومعظم أتباعه، أما الرماحس فعندما سمع بوصول قوات الأمير عبد الرحمن إلى مشارف الجزيرة الخضراء أسرع بالهرب بأهله فى أحد المراكب إلى المغرب، ومنها التجأ إلى العباسيين فى المشرق[١].

٧- مؤامرات وثورات أخرى:

واجه عبد الرحمن الداخل مؤامرات وثورات أخرى فى أواخر عهده منها مؤامرة دبرها أحد أفراد أسرته ويدعى المغيرة بن الوليد بن معاوية بالاشتراك مع هذيل بن الصميل بن حاتم للقضاء على الأمير عبد الرحمن سنة ١٦٨هـ، غير أن أحد أتباعهما كشف المؤامرة وأبلغها للأمير، وتم اعتقال المتآمرين وقتلهما كما قام محمد بن يوسف الفهرى بثورة فى طليطلة ثم زحف إلى مدينة قسطلونة بشرق الأندلس، فخرج إليه الأمير بجيشه وأنزل به الهزيمة وقتل معظم أتباعه سنة ١٦٩هـ، بينما فر الثائر محمد بن يوسف الفهرى نحو الجبال، وباءت ثورته بالفشل[٢]. ولم يلبث أن توفى الأمير عبد الرحمن بعد ذلك بثلاث سنوات أى فى سنة ١٧٢هـ.

---

(١) أخبار مجموعة، ص١٠٠ وما يليها؛ البيان المغرب، ص٥٦-٥٧؛ العبادى، نفسه، ص٨٢-٨٤؛ سالم، نفسه، ص٢٠١ وما يليها؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١٧ وما يليها.

(٢) أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ البيان المغرب، ص٥٧.

ج- بعض مظاهر الحضارة الأندلسية فى عهده: (التأثيرات الحضارية الشامية فى الأندلس):

رغم ما شهده عهد الأمير عبد الرحمن الداخل من ثورات ومشكلات داخلية إلا أنه لم يغفل الجوانب الحضارية، فكان كما تصفه المصادر التاريخية فصيحاً بليغاً، شاعراً، وتأثرت الأندلس فى عهده بمظاهر الحضارة الشامية، ولعل هذا يرجع إلى مولده ونشأته ببلاد الشام موطن آبائه وأجداده الأمويين والتى ازدهرت فيها الحضارة فى العصر الأموى، وعلاوة على ذلك فإن جند الشام الذين استقروا فى الأندلس بعد الفتح نقلوا معهم الكثير من العادات والتقاليد الشامية.

فمن الناحية الأدبية: تأثر شعراء الأندلس فى تلك الفترة الأولى بشعراء الشام فى الالتزام بالوزن والقافية، ومن ناحية أخرى كانت للأمير عبد الرحمن الداخل عدة أشعار ورسائل وخطب تشبه ما كان لدى امراء وخلفاء الأمويين فى الشام وخاصة رسائله إلى عماله (ولاته) بالاقاليم أو الثائرين عليه، ومن أمثلة أشعاره فى الحنين إلى وطنه الشام:

أيها الراكب الميمم أرضى إقرأ من بعضى السلام لبعضى

إن جسمى كما تراه بأرض وفـــــؤادى ومالكيـــــه بأرض(١)

---

(١)راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٥٨ وما بعدها؛ ابن الابار، الحلة، ج١، ص٣٦؛ سالم، نفسه، ص٢٠٦-٢٠٨؛ العبادى، نفسه، ص٨٥-٨٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٢٧.

ومن شعره أيضا عندما شاهد نخلة فى منية الرصافة بقرطبة أثارت شجونه وتذكر وطنه الشام:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة   تناءت بأرضالغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهى فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بنىّوعن أهلـــى(١)

ومن ناحية تعمير العاصمة قرطبة بالقصور والمساجد والبساتين: فقد اهتم الأمير عبد الرحمن بالعمران اهتماماً بالغاً، وحرص على أن تشبه قرطبة عاصمة حكمه مدينة دمشق حاضرة أجداده الأمويين فى الشام، ولذا اعتنى بقصر الإمارة فى قرطبة، وهو قصر قديم سكنه بعض الملوك والحكام فى إسبانيا فى العصور السابقة على الحكم الإسلامى، وتذكر المصادر أن الحكام الأمويين أضافوا العديد من المحاسن إلى قصر الإمارة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة، وكان يضم البساتين والحدائق الأنيقة(٢).

كذلك أعاد الأمير عبد الرحمن بناء جامع قرطبة فى سنة ١٦٩هـ وتأثر فى ذلك بمؤثرات شامية خاصة فى زخارفه المعمارية ونظام العقود المزدوجة والسقف ووضع المئذنة ويبدو أنه استعان فى بنائه ببنائيين شاميين(٣).

---

(1) البيان المغرب، ج١، ص٦٠؛ الحلة السيراء، ج١، ص٣٦-٣٧.

(2) نفح الطيب، ج٢، ص١٢ وما يليها.

(3)سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٥٣.

وحرص الأمير عبد الرحمن أيضاً على بناء القصور الخلوية خارج العاصمة فأقام قصر الرصافة في ضواحي قرطبة تشبهاً برصافة جده هشام ببادية الشام، وتذكر المصادر أن قصر الرصافة ابتناه الأمير عبد الرحمن في بداية عهده في شمال غرب قرطبة لتنزهاته، وسكن فيه بعض الفترات للراحة والتمتع بجمال الطبيعة، بعيداً عن صخب العاصمة قرطبة وازدحامها بالسكان، فاتخذ بمنيته الرصافة قصراً حسناً وأحاطه بالبساتين "ونقل إليها الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر مولاه من الشام من النوى والحبوب الغريبة حتى نمت، وأثمرت بغرائب من الفاكهة انتشرت بعد قليل في كل نواحي الأندلس، ومن ذلك الرمان السفري الذي ينتسب إلى سفر الكلاعي من عرب الشام(١).

أما من الناحية المذهبية فيذكر أستاذنا د. مختار العبادي أن الأندلسيين تأثروا أيضاً بأحد المذاهب الفقهية التي ظهرت في الشام وهو مذهب الإمام الأوزاعي فقيه الشام المعروف (ت سنة ١٥٧هـ) وكان فقيهاً مرابطاً في ثغر بيروت في مواجهة الخطر البيزنطي على السواحل الشامية، ولذا اهتم مذهبه بأحكام الحرب والجهاد، وهو ما يتناسب مع ظروف أهل الأندلس واهتمامهم في تلك الفترة، حيث كانوا في حالة جهاد دائم ضد الامارات الإسبانية والفرنجية المسيحية في الشمال، ولذا كانوا

---

(١)المقري، نفسه، ج٢، ص١٥؛ سالم، قرطبة، ص٤٩-٥٠.

يميلون إلى مذهب الفقيه الأوزاعى، وقد قام بنقل مذهبه من الشام إلى بلاد الأندلس بعض الفقهاء الأندلسيين(١).

---

(١)العبادى، نفسه، ص٨٨.

(٢) الأمير هشام الرضا ١٧٢-١٨٠هـ

بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل تولى الحكم من بعده ابنه هشام سنة ١٧٢هـ، وقد لقب بالرضا لعدله وصلاحه وفضله، فكان كما يصفه المؤرخون خيراً فاضلاً، جواداً كريماً مع حسن سيره فى رعيته(١).

أولاً: أهم المشكلات الداخلية فى عهده:

(١) مشكلة أخيه سليمان:

تذكر المصادر التاريخية أن الأمير عبد الرحمن الداخل أسند قبل وفاته ولاية طليطلة لابنه الأكبر سليمان، وولاية ماردة لابنه هشام، وعندما حضرته الوفاة كان معه بقصر الامارة بقرطبة ابنه الأصغر عبد الله فأوصاه بأن من يصل أولاً من أخويه إلى العاصمة قرطبة عليه أن يسلم له الأمور ويتولى حكم الأندلس من بعده، وكان مما قاله لابنه عبد الله: "فإن سبق إليك هشام له فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له"، وقد حدث أن وصل هشام من ماردة قبل أخيه سليمان، فاستقبله أخوه عبد الله على مشارف العاصمة قرطبة، وبايعه بإمارة الأندلس وأدخله قصر الإمارة تنفيذاً لوصية والده(٢).

---

(١) أخبار مجموعة، ص١٠٩؛ ابن الأبار، نفسه، ج١، ص٤٢.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦١-٦٢؛ العبادى، نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٢١٣؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٢٩-١٣٠.

وتذكر المصادر أن أخاه سليمان عندما علم بذلك، رفض الاعتراف بالأمر الواقع، وأعلن التمرد في طليطلة وبايعه أهلها والمناطق المحيطة بها التى أصبحت تحت سيطرته، ولم يلبث أن انضم إليه أخوه عبد الله سنة ١٧٣هـ ربما لأنه كان يطمع فى نفوذ أكبر مما كان عليه، ثم زحف سليمان من طليطلة نحو العاصمة قرطبة، ولكنه تعرض للهزيمة أمام قوات الأمير هشام، وولى الأدبار نحو اقليم تدمير بشرق الأندلس، بينما حاصر الأمير هشام طليطلة حصاراً شديداً حوالى شهرين مما أرهق أهلها ثم عاد إلى عاصمته قرطبة، حيث لحق به هناك أخوه عبد الله سنة ١٧٤هـ طالبا الصفح والصلح، فصالحه الأمير هشام وعفا عنه، ولم يلبث أن انضم إليه سليمان فى الصلح، وطلب الأمان، فأمنه الأمير هشام بعد أن اشترط عليهما الرحيل إلى المغرب بعد أن عوضهما مالاً جزيلاً، وبذلك انتهت مشكلة أخويه(١).

(٢) الثورة في منطقة الثغر الأعلى:

اندلعت عدة ثورات فى منطقة الثغر الأعلى ومركزها سرقسطة والمدن المجاورة لها، وقد تزعمها بعض الثوار من الزعماء العرب فى تلك المنطقة البعيدة عن العاصمة قرطبة (مقر الحكومة المركزية) ففى اقليم طرطوشة أعلن الثورة سعيد بن الحسين الأنصارى الذى استولى على سرقسطة وأثار الفتنة والصراعات القبلية بين العصبيات العربية

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٢-٦٣؛ العبادى، نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٤؛ بروفنسال، نفسه، ص١٣٠.

هناك، وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله، ولكن الأوضاع لم تستقر فى منطقة الثغر الأعلى، إذ ثار عقب ذلك أيضاً مطروح بن سليمان الأعرابى فى برشلونة وزحف إلى سرقسطة وسيطر عليها أيضاً وعلى مدن الثغر الأعلى، وزاد نفوذه فى تلك المنطقة مما شكل تهديداً خطيراً للأمير هشام الرضا، غير أنه قتل على يد بعض أتباعه الذين غدروا به أثناء رحلة صيد، وأرسلوا برأسه إلى ابن عثمان قائد جيش الأمير هشام الذى زحف إلى سرقسطة، ودخلها دون مقاومة، وأعاد الأمير هشام الهدوء والأمن والاستقرار إلى تلك المدينة المهمة التى تمثل قاعدة الثغر الأعلى الأندلسى(١).

(٣) ثورة البربر فى تاكرنا سنة ١٧٨هـ:

فى سنة ١٧٨ أعلن البربر فى تاكرنا بجنوب الأندلس الثورة وعاثوا فساداً ونهباً وقتلاً فى تلك المنطقة المتطرفة البعيدة عن مقر الحكومة الأموية المركزية فى قرطبة، فأرسل إليهم الأمير هشام جيشه الذى أنذرهم فى البداية، وعندما رفضوا الطاعة واستمروا فى العصيان والفساد، قام بمهاجمتهم وأنزل بهم الهزيمة وقتل منهم أعداداً كبيرة، وتشتت الباقون(٢).

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٣؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٠.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٤؛ ليفى بروفنسال، ص١٣٠؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٥-٢١٦.

ثانياً: أعماله الإصلاحية ودخول المذهب المالكى فى عهده:

امتدحت المصادر التاريخية شخصية الأمير هشام الرضا وأعماله الإصلاحية فى قرطبة وبقية مناطق الأندلس، فتذكر أنه كان حاكماً بالكتاب والسنة محباً لأهل الخير والصلاح، لم تأخذه فى الله لومة لائم، ولم يتعلق به ظلم، وأنه من محاسن أعماله كثرة الصدقات، وكان يجبى الزكاة من طرقها الشرعية على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما كان يبعث إلى الكور أى الأقاليم برجال من أهل الصلاح والتقوى يسألون الناس عن سيرة ولاتهم ثم ينصرفون إليه بأخبارهم من أجل الاطمئنان على الرعية ولكى يحسنوا السيرة فيهم(١).

كذلك يرجع الفضل اليه فى إعادة بناء واصلاح قنطرة قرطبة على نهر الوادى الكبير بعد أن أصابها التصدع بسبب السيول، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة، وأشرف على ذلك بنفسه، وعندما انتهى من إصلاحها، أشاع بعض الناس فى قرطبة بأنه "إنما بناها لقنصه أى (صيده) ونزهته، فأقسم حين بلغه ذلك بألا يعبر عليها إلا لغزو أو مصلحة للمسلمين وأوفى بما أقسم عليه(٢).

كذلك اهتم الأمير هشام بتعمير المساجد وبنائها، فقام باستكمال بناء سقائف جامع قرطبة، وابتنى منارته (أى منذنة) القديمة وبنى

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٥-٦٦؛ النويرى، نهاية الارب، ج٢٣، ص٣٥٨.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ص٦٦؛ المقرى، نفسه، ج١، ص٣٢٤.

الميضاة فى صحن الجامع، وكان يُشَبه فى سيرته وشخصيته بالخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى زهده وصلاحه وعدله[1].

ومن ناحية أخرى شهد عهد الأمير هشام الرضا دخول المذهب المالكى إلى الأندلس، الذى أصبح المذهب الرسمى فيها واعتنقه الغالبية العظمى من الأندلسيين، ولعل السبب فى انتشار مذهب الامام مالك (أمام دار الهجرة أو المدينة المنورة، ت سنة ١٧٩هـ) فى بلاد الأندلس يرجع إلى تلاميذه من الفقهاء الأندلسيين الذين تتلمذوا على يديه فى المدينة ثم عادوا إلى بلدهم الأندلس ونشروا مذهب شيخهم الإمام مالك، ومن أمثلة هؤلاء الفقهاء زياد بن عبد الرحمن ويحيى بن يحيى الليثى وعيسى بن دينار، الذين أصبحوا من المقربين للأمير هشام ومن حاشيته ومستشاريه وأصحاب النفوذ فى عهده، وكان زياد بن عبد الرحمن هو أول من أدخل كتاب الموطأ للإمام مالك إلى الأندلس، وأخذه عنه العديد من الفقهاء فى العاصمة قرطبة[2].

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٨؛ المقرى، نفسه، ج١، ص ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٩؛ بروفنسال، نفسه، ص١٣٣.

(2) المقرى، نفسه، ج٢، ص٢٢١ وما يليها؛ النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٣٥٨؛ ٢٥٥ وما يليها.

ثالثاً: سياسته الخارجية:

أ- نحو الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال:

وصفت المصادر التاريخية الأمير هشام بأنه كثير الغزو والجهاد، واستطاع بذلك أن يحمى ثغور الأندلس الشمالية من خطر الأعداء سواء من النصارى الإسبان أو الفرنجة، ونجح فى ردعهم وأنزل بهم عدة هزائم، ففى سنة ١٧٦هـ أرسل الأمير هشام حملة بقيادة عبيد الله بن عثمان إلى منطقة ألبة والقلاع (من أراضى مملكة اشتوريش أو جليقية الإسبانية المسيحية) فتصدت له جموعهم هناك، وأنزل بهم الهزيمة، وقتل أعداداً كبيرة منهم، وفى نفس العام أرسل الأمير حملة أخرى بقيادة يوسف بن بخت إلى ناحية الشمال الغربى حيث مملكة جليقية، والتقى بجيش الملك برمودو الأول (Bermudo)، وانتصر الجيش الإسلامى للمرة الثانية، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا ظافرين غانمين إلى العاصمة قرطبة(١)، كما حقق الجيش الإسلامى بقيادة عبد الكريم بن مُغيث انتصاراً ثالثاً وعلى جيش جليقية بقيادة الملك الفونسو الثانى وقتل وأسر العديد منهم، وذلك فى سنة ١٧٩هـ.

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٣-٦٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٦.

ب- نحو الفرنجة فى بلاد غالة:

فى سنة ١٧٧هـ أرسل الأمير هشام حملة كبيرة إلى بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن مغيث ووصل فيها إلى جرنده أو جيرونا (Gerona) التابعة لإمارة اكيتانيا الفرنجية وحصارها حصاراً شديداً، وقتل الكثير من المدافعين عنها وهدم بعض أسوارها وأبراجها، ثم زحف عقب ذلك إلى مدينة أربونة فأحرق ما حولها وخربها وغنم وسبى الكثر من بلاد الفرنجة، وكان فتحاً عظيماً على حد قول المصادر التاريخية، وعاد الجيش الإسلامى ظافراً غانماً إلى العاصمة قرطبة[١].

(٣) الأمير الحكم الأول (الملقب بالربضى) ١٨٠- ٢٠٦هـ:

عقب وفاة الأمير هشام الرضا بويع ابنه الحكم بالإمارة تنفيذاً لوصية والده فى شهر صفر سنة ١٨٠هـ، وكان كما تصفه المصادر التاريخية شجاعاً باسلاً، أديباً شاعراً، وخطيباً مفوهاً[٢].

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٢-١٣٣؛ سالم، نفسه، ص٢١٦-٢١٧.

(2) ابن الأبار، نفسه، ج١، ص٤٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٨.

المدن مثل طلبيرة ومجريط ووادى الحجارة، وحاصروا طليطلة نفسها شهراً دون نتيجة لمنعتها وحصانتها، ثم عاد على بن يوسف إلى قرطبة ظافراً بعد أن مكن للمسلمين فى مناطق الثغور، وأنزل الرعب فى قلوب النصارى الإسبان(١).

وفى نفس العام (٥٠٣هـ/ ١١٠٩-١١١٠م) اتجه جيش مرابطى من بلنسية بقيادة محمد بن الحاج صوب سرقسطة، وتمكن من إنتزاعها من يد صاحبها عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود، الذى لجأ إلى حصن روطه(٢) فى حماية الفونسو الأول (المحارب) ملك أراجون(٣).

وفى تلك الأثناء أيضاً أرسل أمير المسلمين قائده سير بن أبى بكر فى حملة إلى بلاد غرب الأندلس وتمكن من استرداد بعض المدن الهامة

---

(1) انظر: ابن الكردبوس، ص١١٦-١١٧؛ ابن القطان، ص١٣؛ ابن عذارى، ج٤، ص٥٢؛ ابن أبى زرع، ص١١٢؛ الحلل الموشية، ص٦٢؛ اعمال الاعلام، ق٣، ص٢٥٣-٢٥٤؛ سالم، نفسه؛ عنان عصر المرابطين، ق١، ص٦٧-٦٩؛ ومؤنس الثغر الأعلى، ص١٠٨؛ اويثى ميراندا، على بن يوسف، ص١٥٧-١٥٩.

(2) كانت روطه تقع بكورة سرقسطة على نهر شلون أحد روافد نهر ابرة، وهى اليوم تتبع محافظة وشقة والملاحظ أن هناك مدينة أخرى بنفس الاسم (روطه) كانت بالقرب من شريش بجنوب غرب الأندلس- أنظر (الحلة السيراء، تحقيق د. مؤنس، هـ٢، ص٢٤٦).

(3) روض القرطاس، ص١١١؛ أعمال الاعلام، ق٢، ص٢٢٢-٢٢٣؛ سالم، نفسه، ص٧٣٥.

من أيدى النصارى مثل شنترين ويابره وبرتقال واشبونه وذلك فى سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م[١].

ومن الأعمال الهامة لأمير المسلمين على بن يوسف استرداده الجزائر الشرقية (جزر البليار) فى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٦م من أيدى الغزاه النصارى من بيزة وجنوة وقطلونية، وكانوا قد استولوا عليها عنوة بعد حصار شديد وذلك فى سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م[٢].

وفى سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م عبر أمير المسلمين البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة منذ توليه الإمارة فنزل باشبيلية وأقام بها بعض الوقت إلى أن انضمت إليه القوات المرابطية وسار بها نحو غرب الأندلس لغزو إمارة البرتغال الناشئة، وتمكن من فتح مدينة قلمرية وأعمل السلب والقتل والتخريب فى تلك المنطقة، ولم تستطع قوات الملكه تيريسا ملكة البرتغال أن تصمد أمامه، ففر النصارى وتحصنوا بمعاقلهم- وتشير المصادر المسيحية إلى أن المرابطين دخولا قلمرية فى ٢٢ يونيو ١١١٧م (يوافق ١٨ صفر ٥٢٢م) ويؤكد ذلك قول صاحب الحلل الموشية وفى سنة إحدى

---

(1) المراكشى، المعجب، ص٢٢٨-٢٣٢؛ ابن زرع، ص١١٢؛ السلاوى، الاستقصا، ج٢، ص٥٩؛ سالم، نفسه، ص٧٥٣؛ عنان، نفسه، ق١، ص٧٠.

(2) عن غزو النصارى للجزائر الشرقية واسترداد المرابطين لها أنظر: ابن الكردبوس، ص١٢٢؛ ابن القطان، نفسه، ص٢٠؛ روض القرطاس، ص١١٣؛ وثائق تاريخية جديدة فى عصر المرابطين، نشر محمود قلى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بروذ، مجلد٨، ١٩٦٠، ص١٥٩؛ عنان، عصر المرابطين، ق١، ص٧٦-٧٧؛ الحجى التاريخ ألندلسى، ص٢٦؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٧٥.

عشر وخمسمائة افتتح (أى على بن يوسف) فيها مدينة قلمرية ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى وكان أثره بها عظيماً(١).

وهكذا كان للجيش المرابطى اليد الطولى فى المعارك ضد النصارى على الجبهة الشمالية والغربية حيث مملكة قشتالة وإمارة البرتغال، غير أن الموقف على الجبهة الشمالية الشرقية يختلف تمام الاختلاف حيث واجه المرابطون الكثيرة من المشاق والأخطار التى هددتهم وفى تلك الناحية، ظلت الحرب مستعره مدة بين المرابطين وبين النصارى الأرغونيين والقطلانيين يقودهم ملكان مسيحيان على جانب كبير من الهمة والنشاط والعزم هما الفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون (أراجون)، ورامون بيرنجير الثالث Ramon III صاحب قطلونية(٢).

ففى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م زحفت حشود هائلة من قوى المسيحيين نحو أراضى المسلمين فى حملة صليبية واضحة المعالم. لأنها كانت تتألف من طوائف عديدة من الفرنج(٣)، بقيادة الفونسو المحارب

---

(1) ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، ص٦٢-٦٣؛ عنان، نفسه، ص٨٠-٨١؛ الحجى، نفسه، ص٤٢٨.
ويجدر الاشارة إلى أن أمير المسلمين لم يحتفظ بمدينة قلمرية لموقعها الناشئ عن الأراضى الاسلامية، يذكر ابن عذارى أنه لم يلبث أن انصرف عنها إلى اشبيلية (البيان المغرب، ص٦٣).

(2) أنظر: سالم المغرب الكبير، ص٧٣٣؛ مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠٦-١٠٧.

(3) راجع تفاصيل ثورة قرطبة فى ابن القطان، نفسه، ص٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٦٦؛ النويرى، نفسه، نشر جاسبار ريميرو، ص١٨٥-١٨٦؛ الحلل الموشية، ص٦٣؛

(تسمية الراوية العربية ابن ردمير) نحو سرقسطة وأغاروا عليها ثم على قرطبة ونشبت الفتنة ونهب القرطبيون دور المرابطين بالمدينة وأحرقوها وحاصروا قصر الوالى نفسه، مما دعا أمير المسلمين إلى الحضور بنفسه إلى قرطبة، حسماً لمادة الفتنة وتم الصلح على أن يؤدى القرطبيون مالا عوضاً عما نهب من أموال المرابطين.

ولم تلبث بلاد الأندلس أن اضطربت مرة أخرى على المرابطين، عندما قام الفونسو المحارب بحملته الكبرى فى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٥م بايعاز من المعاهدين النصارى بغرناطة، الذين استثاروا طمعه وحرضوه على غزو جنوب شرق الأندلس، فشن غارة تخريبية اخترق فيه المسلمين مخرباً ومدمراً المدن والقرى والحصون الإسلامية التى كانت تصادفه أثناء سيره من سرقسطة حتى وصوله أمام غرناطة التى حاصرها بعض الوقت سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م دون جدوى، فانسحب منها متجهاً إلى بلش (قرب مالقة) حيث واصل أعمال السلب والتخريب فى تلك المناطق وانتصر على قوات المرابطين عند حصن الرينسول قرب اليسانه على الطريق المتجه من غرناطة إلى قرطبة، ثم رجع إلى بلاده أراجون بعد أن أمضى ما يقرب من خمسة عشر شهراً فى تلك الغزوة[1].

سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص١٤٣-١٤٤؛ عنان، نفسه، ص٨١-٨٤؛ حمدى عبد المنعم، على بن يوسف المرابطى، ص٨١-٨٢.

(١) تفاصيل عن حملة الفونسو المحارب، راجع ابن الأثير، نفسه، ج٨، ص٣١٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٦٩-٧٢؛ الحلل الموشية، ص٦٦-٧٠؛ وثائق تاريخية جديدة،

وعلى أثر تلك الغارة المخربة جاز الفقيه أبو الوليد بن رشد[1] قاضى الجماعة بقرطبة إلى مراكش حيث قابل أمير المسلمين على بن يوسف واوضح له غدر النصارى المعاهدين وما سببوه للمسلمين من مآسى وأهوال نتيجة استدعائهم لألفونسو المحارب (ابن ردمير) والإنتصار به ومعاونته ضد المسلمين، وأفتاه بتغريبهم واجلائهم عن بلادهم، وتم ذلك بالفعل (٥٢٠هـ/ ١١٢٧م) حيث نفى النصارى المعاهدين إلى مدن المغرب الأقصى.

ويشير ابن القطان إلى وقعة أخرى نشبت بين المرابطين والأرغونيين فى سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م عند القليعة أو القلاعه الواقعة بالقرب من جزيرة شقر، انتهت بهزيمة المسلمين، فيقول: "فالتقى الجمعان هنالك (أى بالقليعة) وانهزم المسلمون وتبعهم العدو، وذهب أكثر الرجاله قتلاً وأسراً، فبلغ ذلك على بن يوسف فغاظه وأمر بالكتب إلى لمتونة بالخزي.

وبينما كانت الهزائم تتوالى على المرابطين فى الأندلس على أيدى الأرغونيين، إذ بالموقف يسوء بالمغرب أيضاً، وتضطرب أحوالهم هنالك

نشر محمود مكى، ص١٢ وما بعدها؛ عنان قصر المرابطين، ق١، ص١٠٨-١١٢؛ الحجب، نفسه، ص٤٣٣.

(1) هو أبو زكريا حيىى بن على غانيه الصحراوى، وغانيه اسم امه، وقد تزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانيه هذه بعد موت أبيه وكفله وولده مدينة استجه ثم تولى بعد ذلك مرسية وبلنسية، أنظر (نظم الجمان، تحقيق د. محمود مكى، هـ٣، ص٢٢٠-٢٢١).

بسبب قيام الثورة الموحدية بزعامة محمد بن تومرت المعروف بالمهدى والذى تمت مبايعته فى تينملل بالمغرب الأقصى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، وازداد أتباعه ونفوذه هناك حتى أصبح يشكل خطراً كبيراً على الدولة المرابطية فنشبت بين المرابطين والموحدين عدة معارك تبادل فيها الجانبان النصر والهزيمة ولم تحسم المعارك لأى منهما، إلى أن توفى المهدى ابن تومرت وخلفه فى زعامة الموحدية عبد المؤمن بن على وذلك فى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م الذى اتخذ لقب إمارة المؤمنين وهو يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة الموحدية.

واستغل الفونسو الأول ملك أراجون انشغال المرابطين بالثورة الموحدية فى المغرب لاستئناف نشاطه العسكرى ضد المسلمين فى المناطق المجاورة لحدوده وتمهيداً للاستيلاء على بقية قواعد الثغر الأعلى، وطرد المسلمين منها خاصة مدن لارده وافراغه ومكناسة وطرطوشة، فأعد جيشاً كبيراً اتجه صوب مكناسة فاستولى عليها، ثم عرج على مدينتى لارده وافراغه للاستيلاء عليها، فالتقى بالمرابطين هناك، حيث دارت معركة شديدة بين الطرفين تحت أسوار مدينة افراغه الواقعة جنوب لارده سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م، واستبسل فيها المسلمون بقيادة ابن غانية وانتهت بهزيمة ساحقة للنصارى الأراجونيين أعادت للأذهان إنتصارات المرابطين فى الزلاقة واقليش، وغنم المسلمون الكثير وتذكر الرواية المسيحية أن الفونسو المحارب لقى حتفه فى تلك الموقعة،

وإن كانت هناك رواية أخرى نرجحها تشير إلى أنه توفى بعدها بايام قلائل.

ولم يلبث القشتاليون فى أعقاب وقعة افراغه أن قاموا فى نفس العام (٥٢٨هـ/ ١١٣٤م) بشن غارة عنيفة على اراضى بطليوس وعاثوا فى نواحيها نهباً وتخريباً، فاسرع إليهم لأمير تاشفين بن على بن يوسف حيث التقى بهم عند فحص الزلاقة قرب بطليوس، وأوقع بهم هزيمة نكراء، ثم عاد إلى قرطبة ظافراً(١).

وفى أواخر عهد على بن يوسف أخذت دول المرابطين تسير سريعاً نحو الاضمحلال والتدهور بسبب الهزائم المتوالية التى تكبدها المرابطون على أيدى الموحدين فى الوقت الذى تعرضت فيه البلاد لغارات الممالك المسيحية فى الشمال والغرب مما ترتب عليه احتلال الأمن فى الأندلس وأثر ذلك بالتالى على الأوضاع الاقتصادية بصفة عامة، وقد أثار ذلك سكان المدن الأندلسية على المرابطين، فقامت الفتنة والاضطرابات فى كل مكان ويصور ابن عذارى تلك الحالة بقوله "واتصلت الحروب ببلاد المغرب (أى فى المغرب بين المرابطين والموحدين) وغلت الأسعار.. وقلت المجابى بهذه الفتن وكثرت اللوازم- أى الضرائب- على الرعايا

---

(١) أنظر ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٨٩؛ الحلل الموشية، ص١٢٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٢٧-٢٢٨؛ عنان قصر المرابطين، ق١، ص١٣٨-١٣٩.

بالعدوتين والح العدو النصرانى بالضربات على جميع جهات ألندلس حيث علموا عجز الإمارة بالمغرب"(١).

وفى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م أصدر أمير المسلمين على بن يوسف مرسوماً بولاية العهد لابنه تاشفين وأخذت له البيعة فى المغرب والأندلس ونقش اسمه على الدنانير والدراهم ثم توفى سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م وخلفه ابنه تاشفين بن على ودولة المرابطين فى دور الاحتضار.

٣- الأندلس فى عهد تاشفين بن على وانهيار دولة المرابطين فى المغرب والأندلس:

تولى تاشفين بن على الإمارة فى ظروف غير مواتية، فقد كانت الهزائم تتلاحق على جيوشه بالمغرب على أيدى الموحدين الذين بسطوا سلطانهم على المغرب الأوسط ومناطق واسعة من المغرب الأقصى وحاول تاشفين وقف تقدمهم دون جدوى ثم دارت المعركة الحاسمة بين الطرفين قرب تلمسان سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وانتهت بهزيمة المرابطين وفرار تاشفين إلى وهران ومقتل قائده الربرتير.

وتعقب الموحدون الأمير تاشفين إلى وهران وأحاطوا به من كل ناحية وحاول تاشفين اختراق الحصار أثناء الليل ولكنه سقط صريعاً من جبل عال عند وهران وذلك فى رمضان سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م.

---

(١) أنظر: ابن عذارى، نفسه، القسم الموحدى نشر ميراندا، ص١٢؛ الحلل الموشية، ص٨٨-٨٩.

وكان أمير المسلمين تاشفين قبيل مصرعه قد أوصى بولاية العهد من بعده لابنه إبراهيم فتمت مبايعته بمراكش وسط ظروف غاية فى الدقة والحرج لم تشهد دولة المرابطين مثيلاً لها منذ قيامها، ورغم ذلك حدث انشقاق وخلاف داخل أسرة بنى تاشفين حيث رفض إسحاق بن على مبايعة ابن أخيه وخرج عليه ودعا لنفسه بالإمارة، واشتد التنازع بين الطرفين داخل العاصمة مراكش فى الوقت الذى استولى فيه الموحدون على فاس ومكناسه وسلا فى سنة ٥٤٠هـ/ ١١١٦م، وبدأوا يتجهون صوب العاصمة المرابطية مراكش نفسها.

واستغل الأندلسيون تلك الفرصة المواتية، واشعلوا نيران الثورة ضد المرابطين فى جميع أنحاء الأندلس، واعلن كل ثائر استقلاله بمنطقته، ودخلت البلاد بذلك فى طور جديد من أطوار دويلات الطوائف. ومن هؤلاء الثوار ابن قسى(١) الذى ثار بغرب الأندلس وادعى الهداية وتسمى بالامام، وانضم إليه بعض الثوار أمثال ابن وزير(٢) بباجه وابن المنذر(١) بشلب،

---

(١) ابن قسى: هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى، من أصل إسبانى مسيحى نشأ بشلب واشتغل بالشئون المالية ثم ما لبث أن تزهد وتصدق بماله وادعى الهداية وتسمى بالامام وتبعه الكثير من أهل غرب الأندلس وسماهم المريدين. غير أن بعض أعوانه ثاروا عليه فاضطر للهرب ولجأ إلى الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على بالمغرب مما عفا عنه وأكرمه، أنظر (الحلة السيراء) ج٢، ص١٩٨-٢٠٠ رقم ١٤٢، اعمال الاعلام، ق٣، ص٢٨٥-٢٨٩.

(2) ابن وزير: هو أبو محمد سيد راى بن عبد الوهاب بن وزير، من زعماء الثورة على المرابطين من غرق الأندلس واحد أتباع ابن قسى، ثم خرج عليه وادى ذلك إلى تمزق دعو المريدين وقد تمكن ابن وزير الاستيلاء على شلب وميرتله وأعلن الدعوة أنظر

كما أعلن الثورة كل من ابن عزون بشريش[2] وابن حمدين[3] بقرطبة واخيل بن ادريس[4] فى رنده وابن جــزي[5] بجيان وابن ميمون[6]

(البندق- أخبار المهدى، ص١٦١؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٧ رقم ١٤٣؛ أعمال الاعلام ق٣، ص٢٨٦-٢٨٨؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٤٢؛ علام، الدولة الموحدية، ص١٤٧-١٥٣.

(1) ابن المنذر: هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، من أعيان شلب، انضم إلى ثورة ابن قسى ضد المرابطين، ثم دخل فى حرب ضد ابن وزير انتهت بهزيمته واعتقاله بباجة إلى أن دخلها الموحدون فأطلقوا سراحه ودخل فى طاعتهم. أنظر (الحلة، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٨؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٨٦).

(2) ابن عزون: هو أبو الغمر السائب بن عزون- من القائمين بدعوة ابن حمدين فى شريش، أنظر (البيذق- أخبار المهدى، ص١٦١؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢ رقم ١٤٨).

(3) ابن حمدين: هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن على بن حمديه الثعلبى القرطبى، ولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥٢٩هـ ثم أعلن الثورة على المرابطين فى سنة ٥٣٩هـ وعندما بلغته أنباء ثورة ابن قسى بغرب الأندلس، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ودعى له على منبر قرطبة وكثير من المنابر الأندلسية ولكن ولايته لم تطل وتوفى بمحالفه سنة ٥٤٨هـ، أنظر (البندق، نفسه، ص١٦٠؛ ابن القطان، ص٢١٧؛ هـ٢، ابن الابار- التكملة ج١، ص٣٨-٣٩ رقم ١١٩؛ النباخى المالقى، تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبه الغليار، ص١٠٣.

(4) هو أبو القاسم أخيل بن أدريس الرندى، استبعد بحكم بلده رنده وتوفى باشبيلية سنة ٥٦٠، ٥٦١هـ، أنظر: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢ رقم ١٤٨.

(5) هو يوسف بن عبد الرحمن بن جزى من الثائرين بجيان توفى سنة ٥٨٩هـ، أنظر (أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٨). .

(6) هو على بن عيسى بن ميمون من أسرة بنى ميمون الشهيرة فى قيادة الأساطيل البحرية، وكان من أمراء البحر فى العصر المرابطى واستقل بحكم قادس عند انهيار دولة المرابطين وأعلن الطاعة للموحدين فى سنة ٥٤٠هـ، أنظر: عن بنى ميمون (ابن عذارى- البيان المغرب، ج٤، ص٦٦-٧٠؛ نص جديد البيان المغرب، نشر عبد القادر زمامة مجلة

بقادس وابن الحجام(1) ببطليوس ويوسف البطروجى(2) فى لبله والقاضى ابن حسون(3) بمالقة وابن عبد العزيز(4) ببلنسية ثم خلفه ابن عياض(5) ثم محمد بن سعد بن مردنيش(6) الذى ضم مرسيه إلى ملكه ومن الثوار

المعهد المصرى بمدريد رقم ٢٠ سنة ١٩٧٩، ١٩٨٠، ص٨٣؛ سالم المغرب الكبير، ص٧٤٢).

(1) هو محمد بن على الحجام من الثائرين ببطليوس أنظر عنه (البندق، أخبار المهدى، ص١٦١؛ نص جديد من البيان المغربى، ص٩٥؛ سالم، نفسه، ص٧٤٢).

(2) هو يوسف بن أحمد البطروجى، من الثائرين فى ليله، أنظر البندق-هـ٣، نص جديد البلنسية المغرب، ص٨٤، هـ٣، ص٦٦١.

(3) هو أبو الحكم الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حسون قاضى مالقة ورئيساً فى الفتنة، أنظر (ابن الآبار، التكملة، ج١، ص٣١رقم ٨٥؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٣-٢٩٤).

(4) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز قاضى بلنسية وأميرها ابن الابار المعجم، ص١٩٩ رقم ١٧٢؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٨-٢٢٦ رقم ١٤٥.

(5) هو عبد الله بن عياض، كان يحكم مرسية فى الفتنة التى نشبت عند انهيار دولة المرابطين وذلك باسم سيف الدولة بن هود، وعندما خلع أهل بلنسية واليهم مروان بن عبد العزيز استدعوه لحكمها، فأرسل إليهم صهره عبد الله بن مردنيش نائباً عنه. وقد قتل ابن عياض فى إحدى المعارك سنة ٤٥٢هـ، أنظر(أعمال الاعلام، ق١٠، ص٢٩٨-٢٩٩، ١١٥).

(6) هو محمد بن سعد بن مردنيش الجذامى، من أخطر الثائرين الذين ظهروا بشرق الأندلس عند انهيار دولة المرابطين وبداية عصر الموحدين، أصله إسبانى ويبدو- أن جده مردنيش هذا دخل فى ولاء الجذاميين فانتسب إليهم، فى هينة وليلاسه وسلاحه ويتكلم بلغتهم بطلاقة كما استخدم الكثير من المرتزقة النصارى فى جيشه وتسميه المصادر الإسبانية، الملك الذئب، أنظر (الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٨-٣٠٠).

كذلك ابن ملحان[١] بوادى اش، والقاضى ابن عاصم[٢] باوريوله، اما المرية فقد تولى حكمها ابن الرميمى[٣] بتقديم أهلها وذلك قبل ان تسقط فى يد الفونسو[٤] السابع ملك قتشالة وحلفائه من جنوة وبيشه (بيزة) فى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[٥].

وبينما كان الثوار فى ألأندلس يعترفون ببيعتهم لعبد المؤمن به على خليفة الموحدين منذ عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤ حتى أواخر ٥٤١هـ/

---

(1) هو أحمد بن محمد بن ملحان الطائى، ثار بوادى لشئ ودعا لنفسه بها واستولى على قضية المدينة ولقب بالمتأيد بالله، وظل بها إلى أن استولى ابن مردنيس وضمها إلى ملكه فى سنة ٥٤٦هـ، فعبر البحر إلى المغرب والتحق بخدمة الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على، أنظر (البندق، نفسه، ص١٦٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٣٠٤؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٤٣، اعلام الدولة الموحدية، ص١٦٠-١٦١).

(2) هو أحمد بن عبد الرحمن بن على عاصم قاضى أوريولة ومن ذوى النسب والنباهة فيها، تولى حكم بلده أثناء فترة انهيار دولة المرابطين، أنظر (أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٧-٢٩٨).

(3) هو أبو يحيى عبد الله محمد المعروف بابن الرميمى، من أعيان المرية ذوى الرأى والنباهة فيها، تولى حكم بلدة تلمرية عند اهيار دولة المرابطين، واستمر فى الحكم إلى أن دخلها النصارى فى سنة ٥٤٢هـ، أنظر المراكشى، المعجب، ص٢٧٩-٢٨٠؛ ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص٧٣٢ رقم ٢٠٧٦؛ سالم، نفسه، ص٧٤٣.

(4) الفونسو السابع هو الفونسو رايمونديث ويعرف فى المصادر الاسلامية بالطاغية انفونش بن منذ السيلطين (تصغير سلطان) ولى قشتالة سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م عند وفاة أمه اراكه ابنه الفونسو السادس، وكان لا يزال صغيراً ولذا عرف بالسلطلين. أنظر (نظم الجمان-هـ١، ص١١٣؛ الحلة السيراء، ج٢، هـ١، ص٢٤٩).

(5) عن تفاصيل انهيار دولة المرابطين وقيام الثورات فى الأندلس وسقوط المرية فى يد النصارى راجع (ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧، حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٥م، ص٩٩-١٠٢.

١١٤٦م، والتى ثبت فيها سلطان الموحدين على جنوب الأندلس والجنوب الغربى، كانت قوات الموحدين فى المغرب تحاصر مراكش منذ المحرم سنة ٥٤١ه وتقتحم أسوارها فى شوال من نفس السنة وتقضى على آخر رمز لدولة المرابطين ممثلاً فى الأمير إبراهيم بن تاشفين وبمقتله ينقرض أمراء الدولة المرابطية(١).

ومما لاشك فيه أن فترة حكم المرابطين للأندلس رغم قصرها ورغم اشتغال المرابطين بالقتال فى جميع الجبهات كانت من أزهى عصور الأندلس من الوجهة الاقتصادية، فقد نعمت البلاد خلالها- خاصة فى عهد يوسف بن تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه على- بفترة من الأمن والهدوء والطمأنينة والازدهار فى جميع مناحى الحياة مما كان له أعظم الأثر فى تنشيط الحركة الاقتصادية.

---

(١) عن نهاية الدولة المرابطية راجع التفصيلات فى ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٠٨؛ الحلل الموشية، ص١٠٢-١٠٤؛ الزركشى، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، طبعة تونس ١٢٨٩ه، ص٨؛ سالم، المغرب الكبير، ص٨٨٥-٨٨٧؛ عنان، عصر المرابطين، ق١، ص٢٦٠-٢٦٥.

(٢)

الأوضاع السياسية فى الأندلس فى عصر دولة الموحدين

١- فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على:

فى عهد الخليفة عبد المؤمن تمكن الموحدون من تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف تضم بلاد المغرب كلها وما تبقى من أراضى الإسلام فى الأندلس، وقد نجح الموحدون فى السيطرة على عدد كبير من قواعد الأندلس الجنوبية مثل إشبيلية وشريش[١] وبطليوس ومرتله وقادس وقرطبة[٢] فى نفس الفترة التى أسقطوا فيها دولة المرابطين فى المغرب، ولم يحل عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧ حتى كانت معظم مدن الأندلس الجنوبية قد أعلنت مبايعتها لعبد المؤمن بن على الموحدى ودخولها فى طاعة الموحدين[٣] أما المرية فكانت قد سقطت فى أيدى المسيحيين منذ سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

---

(1) تقع مدينة شريش بكورة شذونة فى منطقة جنوب غرب الأندلس، ويصفها الإدريسى بأنها مدينة متوسطة حصينة مسورة الجنبات (الادريسى، ص٢٠٦).

(2) ميرتله أو مارتلة تقع بكورة اكشونية فى غرب الأندلس على ضفة نهر يانه وتشتهر بالمنعة والحصانة، أنظر الادريسى، ص١٧٩؛ مجهول جغرافية الأندلس نشر لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣، ص١١.

(3) عن خضوع المدن الأندلسية أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٤؛ المراكشى، المعجب، ص٢٨١-٢٨٢؛ روض القرطاس، ص١٣٣-١٣٥؛ الحلل الموشية، ص١١١-١١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٤-٢٣٧؛ الرطيب، تحقيق محى الدين.

ولم يتمكن الموحدون من استعادتها إلا بعد عشر سنوات فى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، أما شرق الأندلس فقد كان مستقلاً: فالجزائر الشرقية (جزر البليار) كانت تابعة لبنى غانية المرابطين وظلت تحتفظ باستقلالها حتى تمكن الخليفة الموحدى محمد الناصر بن المنصور من الاستيلاء عليها فى سنة ٥٩٩هـ/ ١٠٢٣م.

أما بالنسبة لسائر شرق الأندلس فقد استقل بها محمد بن سعد بن مردنيش، الذى رفض الدخول فى طاعة الموحدين وتحالف مع النصارى ضدهم وظل شوكة فى ظهر الدولة الموحدية بالأندلس وخطراً كبيراً عليهم طوال عهد الخليفة عبد المؤمن وأوائل عهد ابنه يوسف عبد المؤمن.

وفى سنة ٥٥١هـ/ ١١٦٥م دخل الموحدون غرناطة بعد أن خرج عنها واليها المرابطى ميمون بن يدر اللمتونى ثم بدأ الموحدون يهتمون بتحصين ثغور الأندلس.

فأمر الخليفة عبد المؤمن بن على فى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ببناء مدينة جبل طارق وتحصينها ثم عبر البحر فى نفس السنة ونزل بجبل طارق (جبل الفتح) حيث قام بتنظيم شئون الأندلس وترتب النواحى الإدارية فيها، وتوزيع الحاميات الموحدية على مختلف المناطق وتعيين ولاتها واتخذ الموحدون إشبيلية قاعدة لهم فى الأندلس ومقراً لنزول خلفاء الموحدين. ومن الجدير بالذكر أنه وفدت على الخليفة عبد المؤمن أثناء إقامته بجبل طارق وفوداً أندلسية من وجهاء وأعيان المدن الأندلسية

المختلفة لتجديد بيعتهم له حيث أجزل لهم العطاء[1] ويذكر ابن عذارى أن الخليفة عبد المؤمن لم ينفصل من الأندلس حتى مهدها ورفق برعيتها فاستقامت بذلك أمور الموحدين[2] وفى أوائل ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م وقبيل عودة الخليفة عبد المؤمن إلى المغرب أمر بغزو منطقة غرب الأندلس فسار إليها الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كبير من الموحدين ففتح حصن اطرانكس من احواز بطليوس وباجه[3] ويابره وحصن القصر[4].

وعاد الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) فى الوقت الذى نشب صراع شديد بين ابن مردنيش وابن همشك وحلفاء من النصارى وبين الموحدين بقيادة أبى سعيد عثمان ابن عبد المؤمن والى غرناطة عند فحص غرناطة فى موضع يعرف بمرج الرقاد وانتهى بهزيمة نكراء للموحدين ولووا على أثرها الأدبار، غير أن ابن مردنيش ومن معه

---

(1) أنظر: المن بالامامه، ص١٣٧-١٤٢، ١٤٩-١٥٠؛ المعجب، ص٢٩٣؛ البيان المغرب، القسم الموحدى، ص٤٢-٤٣؛ روض القرطاس، ص١٤٠؛ أعمال الاعلام، ق٢، ص٣٠٩.

(2) البيان المغرب- القسم الموحدى، ص٤٦؛ روض القرطاس، ص١٤١.

(3) باجه (بالإسبانية) Beja تقع قرب مارده بمنطقة غرب الأندلس، وهى حالياً من مدن البرتغال، أنظر (مجهول، جغرافية الأندلس، ص٥٥-٥٦).

(4) أنظر- روض القرطاس، ص١٤١- سالم، المغرب الكبير، ص٧٩٢؛ عنايه نفسه، ق١، ص٣٤٥ أما حصن القصر فيقصد به قصر أبى دانس ويقع إلى الشمال الغربى من باجه وإلى الجنوب من لشبونة بمنطقة غرب الأندلس أنظر (الأدريسى ص١٧٥).

من النصارى فشلوا فى الاستيلاء على قصبة أو غرناطة، وعندها علم الخليفة عبد المؤمن بأنباء تلك الهزيمة التى حاقت بالموحدين أرسل جيشاً كبيراً يقوده أبو يعقوب يوسف (ابنه وولى عهده) بابن مردنيش وابن همشك وأنزل بهما هزيمة شديدة عند جبل السبيكة على مقربة وادى شنيل بظاهر غرناطة وفيها لقى القائد الإسبانى مدار الأقرع (الباروردريجس) حليف ابن مردنيش مصرعه كما قتل عدد كبير من أتباعه ودخل الموحدون غرناطة ظافرين يوم الجمعة ٢٨ رجب ٥٥٧هـ/ ١٣ يوليو ١١٦٢م(١).

وفى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م أصيب الخليفة عبد المؤمن بمرض توفى على أثره فى ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/ ١٥ مايو ١١٦٣م، وخلفه ابنه يوسف بن عبد المؤمن. وهكذا يرجع الفضل الأعظم إلى عبد المؤمن فى تأسيس الدولة الموحدية الكبرى التى امتدت من إفريقية حتى المحيط الأطلسى بالإضافة إلى إسبانيا الإسلامية أو الأندلس، ولذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقى لتلك الدولة التى كان لها أعظم الأثر فى مواصلة الجهاد الذى بدأه المرابطون ضد النصارى الإسبان

---

(١) حول موقعة السبيكة أنظر: ابن صاحب الصلاة، ص١٩٥-٢٠٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص٧٨-٧٩؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ص٥٢-٥٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٣٠١؛ ابن خلدون، ج٦، ص٢٣٧-٢٣٨؛ سالم، نفسه، ص٧٩٦؛ عنان، نفسه، ص٣٨٩-٣٩٠.

وبالتالى المحافظة على الكيان الإسلامى فى الأندلس لفترة طويلة امتدت نحو ما يقرب من قرن من الزمان(١).

٢- عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

خلف يوسف بن عبد المؤمن أباه عقب وفاته، وقد واجهت دولة الموحدين فى خلافته مشكلات خطيرة فى ألندلس أبرزها الصراع ضد ابن مردنيش فى شرق الأندلس، ونشاط حركة الإسترداد البرتغالى فى عهد الفونسو انريكيث ملك البرتغال (المعروف فى الرواية الإسلامية بابن الريق ويعرف أيضاً الرنق أو ابن الرنك) وحليفه المغامر البرتغالى جرانده الجليقى المعروف فى المصادر البرتغالية بخير الدو الباسل(٢).

وفيما يتعلق بالصراع ضد ابن مردنيش فقد نشبت معركة عنيفة فى بداية عهد الخليفة يوسف بين جيش الموحدين وبين قوات ابن مردنيش بفحص مرسيه فى وضع يعرف بفحص الجلاب فى ٧ ذى الحجة ٥٦٠ه (١٥ أكتوبر ١١٦٤م)، وفيها دارت الدائرة على ابن مردنيش وتحصن بداخلها وكانت تلك الهزيمة ضربة قاصمة لابن مردنيش تسببت فى ضعف قوته وانهيار سلطانه فى شرق الأندلس بعد فترة وجيرة.

---

(1) ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص٢٣١؛ المراكشى، المعجب، ص٣٠٦؛ ابن الأثير، نفسه، ج٩، ص٨١؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ص٥٦-٥٨؛ روض القرطاس، ص١٤٣؛ عنان، نفسه، ق١، ٣٩٤-٣٩٥؛ نفسه، ص٧٩٦.

(2) أنظر المن بالامامه، ص٢٣١؛ ابن عذارى، نفسه، ص٥٨.

ومما زاد فى سوء أحوال ابن مردنيش وانهيار سلطانه فى شرق الأندلس خروج صهره ابن همشك عليه وانضمامه إلى الموحدين ودخوله فى طاعتهم سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٦م. ويضاف إلى ذلك سخط أهالى شرق الأندلس على ابن مردنيش بسبب استعانته بالمرتزقة النصارى وتحالفه مع ملوكهم ضد المسلمين وتقديمه الجزيات لهم كسباً لصداقتهم وموادعتهم وقد أثقل بذلك على رعاياه بالضرائب والمغارم الفادحة واستخدم فى جبايتها الأساليب الوحشية(١).

وفى رجب سنة ٥٦٥هـ/ مارس ١١٧١ اتجه جيش الموحدين نحو أراضى ابن مردنيش فاستولى على بعض قواعده مثل قيجاطه شرق جيان، كما استولى على قصبه لورقة والش وبسطه وشقر.

وعجز ابن مردنيش عن وقف تقدم الموحدين فاتجه إلى مرسيه بعد أن أصابه المرض، فى الوقت الذى أعلن فيه ابن عمه محمد بن مردنيش والى المرية- ويعرف بابن صاحب البسيط- دخوله فى طاعة الموحدين ولم يلبث ابن مردنيش أن توفى فى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م، ودخل أولاده فى الطاعة، وبذلك انتهت دولته بشرق الأندلس وزال بوفاته أعظم الأخطار التى واجهتها الدولة الموحدية بالأندلس بعد الخطر النصرانى.

---

(١) المن بالامامه، ص٣٨٨-٣٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٥١.

أمـا الخطـر الآخـر الـذى كـان يتـهـدد دولـة الموحـدين فـى الأنـدلس فيتمثل فى الفونسو إنريكيث ملك البرتغال الذى تمكن فى عهد الخليفة عبد المؤمن من الاستيلاء على لشبونه وشنترين وقصر أبى دانس، ثم واصل عدوانه على أراضى المسلمين فى غرب الأندلس فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وكان يتولى عنـه هذه الأعمال العدوانيـة مغامر برتغالى من أتباعه يقال له جرانده الجليقى وكان يقود فرقة من النصارى هدفها القيام بأعمال السلب والنهب والتوسع فى أراضى المسلمين بغرب الأندلس بتشجيع من الفونسو إنريكيث ملك البرتغال، فيذكر ابن عذارى أن جرانده هذا تمكن من الاستيلاء على مدينـة ترجالـه[1] الواقعة شمال مارده سنة ٥٥٦٠/ ١١٦٥م وفى نفس السنة هاجم يابرة وملكها وباعها للنصارى، ثم استولى علـى حـصن قاصـرش غربـى ترجالـة فـى صـفر ٥٥٦١/ أواخـر ١١٦٥م ثم أتبع ذلك بالاستيلاء على حصن منتـانجش ويقع علـى مقربـة من ترجالة فى جمادى الآخرة من نفس العام، ثم على بطليوس التى سلمها لالفونسو ملك البرتغال أو ابن الرنك صاحب قلمرية كما تسميه الرواية الإسلامية، وشرع أثر ذلك فى محاصرة قوات الموحدين بالقصبة، وعندما سمع الخليفة يوسف الموحدى تلك الأنباء السيئة سير جيشاً كثيفاً إلى الأندلس تمكن من فتح حصن طبيرة وكان بحوزة أحد الثوار الأندلسيين ويدعى عبد الله بن عبيد الله، وتم ذلك فى أواخر سنة ٥٥٦٣/ ١١٦٨م.

---

(١) ترجالة، مدينة تقع بغرب الأندلس، أنظر (الإدريسى) نفسه، ص١٨٦-١٨٧.

وفى نفس السنة عقد صلح وتحالف بين الموحدين وفرنانده (فرناندو رود ريجث صاحب ترجاله) كما دخل فى الصلح صهره فرنانده الببوج ملك ليون، وبفضل هذا التحالف فشل الفونسو انريكيث ملك البرتغال فى الاستيلاء على قصبة بطليوس، واضطر إلى الانسحاب هو وجرانده الجليقى فى شعبان سنة ٥٥٦٤/ ١١٦٩م(١).

وفى سنة ٥٥٦٦/ ١١٧٠م عبر الخليفة يوسف البحر إلى الأندلس للقيام بأعمال الجهاد فمكث باشبيلية بعض الوقت ثم اتجه لغزو مدينة وبذه فى شوال ٥٥٦٧/ يونيه ١١٧٢م، وأثناء سيرة فتح حصن بلج صلحا وأعطى الأمان لسكانه، كما استولى صلحاً على حصن الكرس وواصل زحفه إلى وبذه، وهنا تختلف الورايات الإسلامية حول الوقائع التى حدثت عند وبذه. فابن صاحب الصلاة يذكر أن الجيش الموحدى انتصر على النصارى القشتاليين الذين كانوا يتولون مهمة الدفاع عن المدينة، ثم انسحب بعد ذلك متجهاً إلى قونكة، بينما يرى ابن عذارى- وهو ما نرجحه، أن الهجوم الموحدى على وبذه منى بالفشل واضطروا للانسحاب لا سيما بعد أن- تعرضوا لعواصف شديدة وأمطار غزيرة استحال معها مواصلة الهجوم ولذا فضلوا الانسحاب والاتجاه إلى مرسية(٢).

---

(1) المن بالامامه، ص٣٦٥-٣٧١.

(2) من غزوة وبذه- أنظر ابن عذارى، نفسه، ص ٩-٩٧.

وفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م استولى البرتغاليون على مدينة باجه ومكثوا بها خمسة أشهر ثم انسحبوا منها بعد أن أحرقوها وخربوها، وفى نفس العام قام الجيش الموحدى بغزوة إلى منطقة طليطلة حيث أعمل السلب والقتل والتدمير فى تلك المنطقة وانتصر على القشتاليين بقيادة الأمير خيمينو صاحب أبله الذى لقى مصرعه فى تلك المعركة. وفى السنة التالية (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) نشبت حرب بين القمط نونه حاكم طليطلة وبين فرنانده اليبوج ملك ليون الذى استنجد الموحدين، فأمدوه بجند اشبيلية بعد خمسة أشهر، غير أن البيوج ما لبث أن نقض الصلح مع الموحدين فاضطروا لمحاربته فى بلاده ليون عند مدينة السبطاط وانتصروا عليه وفتحوا قنطرة السيف.

وقد أدت هذه الإنتصارات الموحدية على النصارى إلى طلب ملوكهم للصلح، فدخل فى الصلح كل من القمط نونه حاكم طليطلة والوصى على عرض الطفل الفونسو الثامن ملك قشتالة والفونسو إنريكيث ملك البرتغال[1].

وفى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م عبر الخليفة يوسف إلى الأندلس عبوره الأخير واتجه إلى اشبيلية ومنها إلى شنترين بغرب الأندلس وهى من قواعد الفونسو إنريكيث ملك البرتغال، وفرض عليها الموحدون حصاراً محكماً، غير أنها كانت تتميز بالمنعة والحصانة إلى جانب توفر

---

(١) أنظر - المن بالامامه، ص٥٢٦؛ عنان، نفسه، ص٨٠-٩٠.

المؤن والأقوات بها، ولذا لم ينجح الموحدون فى اقتحام المدينة مما اضطر الخليفة إلى إصدار أوامره بالانسحاب غير أن هذا القرار كان مفاجأة فانسحبوا دون نظام مما أثار الإرتباك والفوضى فى صفوف الجيش، وانتهز النصارى الفرصة السانحة وقاموا بهجوم مباغت على المسلمين جرح فيه الخليفة يوسف وقتل العديد من جنده، وانسحبت بقية الجيوش إلى اشبيلية، حيث لم يلبث الخليفة أن توفى قرب اشبيلية متأثراً بجراحه فى نفس السنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م.

٣- الأندلس فى عهد الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف الموحدى:

خلف يعقوب الملقب بالمنصور والده يوسف على عرش الدولة الموحدية عام ٥٨٠هـ، ويمثل عهده قمة الازدهار فى العصر الموحدى، فكان خير خلف لأبيه، حيث تمكن من القضاء على الفتن والثورات ونشر العدل والأمن فى ربوع البلاد(١).

وقد تمكن المنصور فى سنة ٥٨٧هـ من استرداد مدينة شلب من أيدى النصارى البرتغالى كما استعاد باجه ويابره وقصر أبى دانس.

ومن أبرز أعماله: انتصاره على نصارى قشتالة فى موقعة الارك الشهيرة فى سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، ذلك الانتصار الحاسم الذى أعاد للأذهان ذكرى انتصار الزلاقة.

---

(١) أنظر- ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٤؛ (ابن عذارى)، نفسه، ص١٤٠-١٤٤.

وأدت تلك الجهود العسكرية التى قام بها الخليفة المنصور على أرض الأندلس إلى وضع حد للخطر النصرانى ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان المسلمين المتاخمين لأراضى الممالك الإسبانية المسيحية(١).

وعقب وفاة المنصور بالمغرب فى سنة ٥٩٥هـ تولى ابنه محمد الملقب بالناصر لدين الله خلافة الموحدين، حيث تمكن من استرداد الجزر الشرقية (جزر البليار) من أيدى بنى غانية والقضاء نهائياً على دولتهم فى سنة ٥٩٩هـ.

ولعل من أبرز الحوادث فى عهده: موقعة العقاب فى سنة ٦٠٩هـ التى نشبت بين جيش الموحدين وجيوش المسيحيين من قشتالة وغرب أوروبا، وانتهت بهزيمة الموحدين وأدى ذلك إلى إنهيار الدولة الموحدية فى الأندلس.

وتوفى الخليفة الناصر عقب ذلك فى سنة ٦١٠هـ، وخلفه ابنه يوسف المستنصر بالله وكان لا يزال صغير السن وليست له خبرة بأمور الحكم.

ولم يلبث المستنصر أن توفى فجأة فى سنة ٦٢٠هـ وكانت وفاته إيذاناً بانهيار الدولة الموحدية فى المغرب والأندلس، فقد كانت الفترة التى تلت الوفاة عبارة عن صراعات بين أمراء الموحدين من أجل اعتلاء العرش.

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ص٢٠٤.

وخلال فترة الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة الموحدية انتز الفرصة بعض ثوار الأندلس وأعلنوا الخروج عن طاعة الموحدين مثل ابن هود الذى استقل بمرسية وشرق الأندلس وكذلك محمد بن الأحمر الذى ثار بأرجونة من عمل جيان وبويع له بجيان ومد نفوذه إلى غرناطة، وانتهز النصارى الإسبان الفرصة واستولوا على بعض القواعد الإسلامية الهامة في الأندلس مثل قرطبة وبلنسية واشبيلية وغيرها ولم يبق فى حوزة المسلمين سوى المناطق الجنوبية من الأندلس حيث قامت مملكة بنى الأحمر أو بنى نصر فى منطقة غرناطة (آخر ممالك المسلمين فى الأندلس).

وفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م انقرضت نهائياً دولة الموحدين وذلك بمقتل أبى العلاء إدريس الملقب بأبى دبوس وذلك أثناء حربه ضد المرينيين بالمغرب الأقصى والذين استولوا على العاصمة مراكش وورثوا دولة الموحدين بالمغرب الأقصى[1].

---

(1) أنظر. روض القرطاس، ص١٨٧؛ سالم، نفسه، ص٨٣١.

الملاحق

(نصوص من المصادر)

ملحق رقم (١)

ذكر من كان يخرج على غزو المغرب
بعد عمرو بن العاص وفتوحه
(من كتاب فتوح إفريقية والأندلس لابن عبد الحكم)

معاوية بن حديج- قال ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد، معاوية بن حديج التجيبى سنة أربع وثلثين وكان معه فى جيشه عامئذ عبد الملك بن مروان، فاتتح قصوراً، وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيرواناً عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر وكان معه فى غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار. حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، وحدثنا يوسف بن عدى حدثنا عبد الملك بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة، عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار، قال غزونا إفريقية مع ابن حديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير فنفلنا ابن حديج النصف بعد الخمس فلم أر أحداً أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصارى.

وحدثنا يوسف بن عدى، حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، قال: وسألت سليمان بن يسار عن النفل فى الغزو فقال لم أر أحداً صنعه غير ابن حديج نفلنا بإفريقية النصف بعد الخمس، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين، ناس كثير فأبى جبلة بن عمرو الأنصارى أن يأخذ منه شيئاً.

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره، قال فانتهى إلى

قونية (والصراب قمونية) وهى موضع مدينة قيروان[١] إفريقية ثم مضى إلى جبل يقال له القرن[٢] يعسكر إلى جانبه، وبعث عبد الملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولاء فى الف رجل فحاصرها أياماً فلم يصنع شيئاً فانصرف راجعاً فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى فى ساقة الناس غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم، فكر جماعة من الناس لذلك، وبقى من بقى على مد افهم وتسرع سرعان الناس فاذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها فدخلها المسلمون، وغنموا ما فيها وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج. فاختلف الناس فى الغنيمة فكتب فى ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان، فكتب أن العسكر ردء[٣] للسرية، قسم ذلك بينهم، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتى دينار، وضرب للفرس بسهمين ولصاحبه بسهم، قال عبد الملك فأخذت لفرسى ولنفسى ستمائة دينار واشتريت بها جارية.

قال ويقال بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه فحاصرهم، فلم يقدر عليهم فانصرف آنساً منها، وقد جرح عامة أصحابه، وقتل منهم ففتحها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال، فرجع إليها ومن معه وفيها السبي

---

(1) قيروان: قال الازهرى: القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما وهى مدينة عظيمة فى تونس، وليس بالمغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية، واخربت البلاد فرحل أهلها عنها، وهى مدينة مصرت فى عهد معاوية. انظر: معجم البلدان لياقوت طبعة بيروت وصادر حرف القاف. ص٤٢٠.

(2) قرن بالفتح ثم السكون، وآخره نون، ومعناه يأتى فى اللغة على معان القرن الجبل الصغير والقرن، قرن الشاة والبقر وغيرهما.

(3) الرد: ج ارداء العدل الثقيل

لم يردهم أحد فغنموا وانصرف منها راجعاً إلى مصر.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث غزوات. أما الأولى فسنة أربع وثلثين قبل قتل عثمان، وأعطى عثمان مروان الخمس فى تلك الغزوة، وهى غزوة لا يعرفها كثير من الناس، والثانية سنة أربعين والثالثة سنة خمسين.

عقبة بن نافع- قال ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج، عقبة بن نافع الفهرى، سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة وشريك بن سمى المرادى فاقبل حتى نزل بمغمداش من سرت. وكان توجه بسر إليها، كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير، عن الليث بن سعد سنة ست وعشرين من سرت. فأدركه الشتاء وكان مضعفاً وبلغه أن أهل ودان قد نقضوا عهدهم، ومنعوا ما كان بسر بن أبى أرطأة فرض عليهم. وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بسراً قبل ذلك وهو محاصر لأهل طرابلس فافتتحها. فخلف عقبة بن نافع جيشه هناك، واستخلف عليهم عمر بن على القرشى وزهيراً بن قيس البلوى ثم سار بنفسه ومن خف معه، أربع مائة فارس، وأربع مائة بعير وثمانى مائة قربة حتى قدم ودان فافتتحها، وأخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال: لم فعلت هذا بى، وقد عاهدتنى فقال عقبة: فعلت هذا بك أدباً لك، إذا مسست أذنك ذكرته، فلم تحارب العرب؟ واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس، وستين رأساً.

ثم سألهم عقبة هل من ورائكم أحد؟ فقيل له جرمة وهى مدينة فزان العظمى؛ فسار إليها ثمانى ليال من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا.

فنزل منها على ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة، وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب (أى تعب وأعيا إعياءً شديداً) وكان ناعماً فجعل يبصق الدم فقال له لم فعلت هذا بى وقد أتيتك طائعاً؟ فقال عقبة: أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبداً ووجه عقبة الرحل من يومه ذلك إلى المشرق.

ثم مضى على جهته من فوره ذلك إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها. فسألهم هل من ورائكم أحد؟ قالوا نعم أهل خاوار وهو قصر عظيم على رأس المفازة فى وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم شيئاً، فمضى أمامه إلى قصور كوار[1] فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها فقطع اصبعه فقال: "لم فعلت هذا بى؟" قال أدباً لك إذا نظرت إلى اصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبداً.

فسألهم هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل ليس عندى بذلك معرفة،

---

(1) كوار: اقليم من بلاد السودان جنوبى فزان افتتحه عقبة بن نافع عن آخره.

ولا دلالة؛ فانصرف عقبة راجعاً فمر بقصر خاوار، فلم يعرض له ولم ينزل بهم وسار ثلاثة ايام، فأمنوا وفتحوا مدينتهم، وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فرس، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت، فصلى عقبة ركعتين ودعا الله، وجعل فرس عقبة يبحث فيه يديه فى الأرض حتى كشف عن صفاة، فانفجر منها الماء، فجعل الفرس يمص ذلك الماء فأبصره عقبة فنادى فى الناس أن احتفروا فحفروا سبعين حسياً فشربوا واستقوا.

فسمى لذلك ماء فرس. ثم رجع عقبه، إلى خاوار من غير طريقه التى كان أقبل منها، فلم يشعروا به حتى طرقهم نيلاً فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا فى أسرابهم، فاستباح ما فى المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلهم. ثم انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة اليوم، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جمت خيولهم وظهرهم، فسار متوجهاً إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم وأخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها، ثم بعث خيلاً إلى غدامس فافتتحت غدامس عن الليث ابن سعد، ان عقبة بن نافع غزا إفريقية فأتى وادى القيروان فبات عليه هو وأصحابه، حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال: "يا أهل الوادى اظعنوا فإنا نازلون." قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس، وحتى لم يروا منها شيئاً، فنزلوا الوادى عند ذلك. قال الليث، فحدثنى زياد بن العجلان أن أهل إفريقية

أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمست حية، أو عقرب بألف دينار ما وجدت.

أبو المهاجر- قال، ثم عزل عقبة بن نافع فى سنة إحدى وخمسين، (الصواب سنة ٥٥هـ) عزله مسلمة بن مُخَلّد الأنصارى وهو يومئذ والى البلد من قبل معاوية بن ابى سفيان، ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب.

ثم انصرف (أى عقبة) إلى القيروان، فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حديج بناه قبله، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام. ثم نادى بأعلى صوته يا أهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام فلم يبق من السباع شئ، ولا الوحوش والهوام، إلا خرج، وأمر الناس بالتقية والخط ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية ابن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم، وركز رمحه وقال هذا قيروانكم. حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وأربعين، وولى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار وأوصاه حين ولاه أن يعزل عقبة أحسن العزل، فخالفه أبو المهاجر فاساء عزله وسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء، فصلى ثم دعا وقال: "اللهم لا تمتنى من أبى المهاجر دينار بن أم دينار، فبلغ ذلك ابا

المهاجر فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته، فلما قدم عقبة مصر، ركب إليه مسلمة بن مخلد فأقسم له بالله لقد خالفه ما صنع ابو المهاجر ولقد أوصيته بك خاصة. وقد كان قيل لمسلمة لو أقررت عقبة، فان له جزالة وفضلاً، فقال: "مسلمة أن أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية، ولا كبير نيل، فنحن نحب أن نكافيه.".

فلما قدم ابو المهاجر إفريقية كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع، ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل. وكان الناس قبل ابو المهاجر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة، وأحمد بن عمر وعن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار، اقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلاً، وكان مسلمة بن مخلد، الذى عقد له على الجيش الذين خرجوا معه إليها فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير فخرجوا منها.

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبى سفيان فقال له: "فتحت البلاد، وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لى، ثم أرسلت عبد الانصار فاساء عزلى." فاعتذر إليه معاوية وقال: "قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم وتقديمه إياه، وقيامه بدمه وبذل مهجته، وقد رددتك على عملك".

ويقال إن معاوية ليس هو الذى رد عقبة بن نافع، ولكنه قدم

على يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فرده والياً على إفريقية، وذلك أصح لأن معاوية توفى سنة ستين. حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير، عن الليث بن سعد قال: "توفى معاوية بن ابى سفيان سنة ستين".

مقتل عقبة بن نافع- ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره، قال: "فخرج عقبة بن نافع سريعاً بحنقه على أبى المهاجر حتى قدم إفريقية فأوثق ابا المهاجر فى وثاق شديد، وأساء عزله وغزا به معه إلى السوس وهو فى حديد، وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم انبية فجول فى بلادهم لا يعرض له أحد، ولا يقاتله، فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقى فى قلة.

فأخذ على مكان يقال له تهوده، فعرض له كسيلة بن لمزم فى جمع كثير من الروم والبربر، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة، فاقتتلوا قتالا شديداً، فقتل عقبة ومن كان معه، وقتل ابو المهاجر وهو موثق فى الحديد، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذى كان عقبة اختطه، فأقام فيه وقهر من قرب منه باب قابس وما يليه وجعل يبعث أصحابه فى كل وجه.

ويقال بل خرج عقبة بن نافع إلى السوس واستخلف على القيروان عمر بن على القرشى، وزهير ابن قيس البلوى. وكانت إفريقية يومئذ تدعى مزاق، فتقدم عقبة إلى السوس وخالفه رجل من العجم فى ثلاثين ألفاً، الى عمر بن على، وزهير ابن قيس وهما فى ستة آلاف فهزمه الله.

وخرج ابن الكاهنة البربرى على أثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس، ولا يشعر بما صنع البربرى، فلما انتهى عقبة إلى البحر اقحم فرسه حتى بلغ نحره ثم "قال اللهم أنى أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازاً لجزت". وانرصف راجعاً والمياه قد غورت، وتعاونت عليه البربر فلم يزل يقاتل، وابو المهاجر معه فى الحديد ولما استحر الأمر، أمر عقبة بفتح الحديد عنه فأبى ابو المهاجر وقال: "القى الله فى -ديدى، فقتل عقبة وابو المهاجر ومن معهما".

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد ان عقبة ابن نافع قدم من عند يزيد ابن معاوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله: "يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم" فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا جميعاً.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة عن بحيربن ذاخر المعافرى قال: كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حتى دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى فقال: "ما اقدمك يا عقبة، فانى أعلمك تحب الامارة" قال: "فان أمير المؤمنين يزيد عقد لى على جيش إلى إفريقية." فقال له عبد الله بن عمر: "إياك أن تكون لعنة ارامل أهل مصر، فانى لم أزل اسمع أنه سيخرج رجل من قريش فى هذا الوجه فيهلك فيه."

فقدم إفريقية فتتبع آثار ابى المهاجر وضيق عليه وحدده، ثم خرج غلى قتال البربر وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر، وخرج بابى المهاجر معه فى الحديد فقتل وقتل أصحابه، وقتل ابو المهاجر معهم. وكان مقتل عقبة بن نافع واصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة ثلاث وستين (وقيل سنة ٦٤هـ).

قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال: ثم زحف ابن الكاهنة إلى القيروان يريد عمر بن على، وزهير بن قيس فقاتلاه قتالاً شديداً فهزم ابن الكاهنة وقتل أصحابه، وخرج عمر بن على وزهير بن زهير بن قيس إلى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالى إفريقية باطرابلس.

ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب إلى زهير بن قيس، وزهير يومئذ ببرقة يغزو إفريقية فخرج بجمع كثير فلما دنا من قونية وبها عسكر كسيلة بن لزم عبأ زهير لقتاله، وخرج إليه فاقتتلا فقتل كسيلة ومن معه ثم انصرف زهير قافلاً إلى برقة. ويقال بل حسان بن النعمان الذى كان وجه زهير بن قيس والله أعلم. كان مقتل كسيلة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة أربع وستين.

حسان بن النعمان- ثم قدم حسان بن النعمان والياً على المغرب أمره عليها عبد الملك بن مروان فى سنة ثلاث وسبعين فمضى فى جيش كبير حتى نزل اطرابلس، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية

واطرابلس فوجه على مقدمته محمد بن ابى بكير، وهلال بن ثروان اللواتى، وزهير بن قيس ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة وخرج إلى مدينة قرطاجنة وفيها الروم فلم يصب فيها إلا قليلاً من ضعافهم. فانصرف وغزا الكاهنة وهى إذ ذاك ملكة البربر، وقد غلبت على جُل إفريقية فلقيهما على نهر يسمى اليوم نهر البلاء، فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمته، وقتلت من أصحابه واسرت منهم ثمانين رجلاً وافلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس فنزل قصوراً من حيز برقة ُسميت قصور حسان، واستخلف على إفريقية ابا صالح، وكانت أنطرابلس ولوبية ومراقية إلى حد اجدابية من عمل حسان.

فأحسنت الكاهنة اسار من أسرته من أصحابه، وأرسلتهم إلا رجلاً منهم من بنى عبس يقال له خالد بن يزيد فتبنته واقام معها. فبعث حسان إلى خالد رجلاً فأتاه فقال له أن حسان يقول: "لك ما يمنعك من الكتاب إلينا بخبر الكاهنة فكتب خالد ابن يزيد إلى حسان كتاباً وجعله فى خبزة، ثم دفعها إلى الرسول ليخفى فيها الكتاب، وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل، فخرجت الكاهنة وهى تقول "يا بنّى هلاككم فيما تأكله الناس، فكررت ذلك ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب فيه علم ما يحتاج إليه. ثم كتب إليه أيضاً كتاباً آخر وجعله فى قربوس(١) حفره،

(١) القربوس ج قرابيس: حنو السرج، أى قسمة المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره، وهما قربوسان..

ووضع الكتاب، وأطبق عليه حتى استوى وخفى مكانه فخرجت الكاهنة أيضاً وهى تقول:"يا بنى هلاككم فى شئ من نبات الأرض ميت" فكررت ذلك ومضى حتى قدم على حسان، فندب أصحابه ثم غزاها، فلما توجه إليها خرجت ناشرة شعرها فقالت يا بنى:"انظروا ماذا ترون فى السماء قالوا نرى شيئاً من سحاب أحمر قالت لا وإلهى ولكنها رهج(١) خيل لعرب ثم قالت لخالد بن يزيد:"إنى إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أنا مقتولة فأوصيك باخويك هذين خيرا." فقال خالد:"إنى أخاف أن كان ما تقولين حقاً ألا يستبقيا." قالت بلى ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأناً منه اليوم فانطلق فخذ لهما أماناً، فانطلق خالد فلقى حسان فأخبره خبرها وأخذ لابنيها أماناً وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر فولى عليهم حسان الأكبر من ابنى الكاهنة وقربه.

ومضى حسان ومن معه فلقى الكاهنة فى أصل جبل فقتلت وعامة من معها، فسميت بئر الكاهنة. وكان مقتل الكاهنة...

قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره، قال ثم انصرف حسان فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم، وبنى مسجد جماعتها، ودون الدواوين، ووضع الخراج على عجم إفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس إلا قليلاً من البتر.

وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد، ثم توجه إلى عبد

---

(١) رهج ارهج: اثار الغبار، بين القوم: هيج بعضهم على بعض.

الملك بغنائمه فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين. قال وحدثنا ابن بكير، حدثنا الليث بن سعد، قال قفل حسان ابن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين. فلما مر حسان ببرقة أمر على خراجها ابراهيم بن النصرانى، ثم مضى فمر بعبد العزيز بن مروان وهو بمصر، ثم نفذ إلى عبد الملك فسر عبد الملك بما أورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه. ويقال بل أخذ منه عبد العزيز كل ما كان معه من السبى، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشئ لم ير مثله جمالاً، فكان سيب الشاعر يقول حضرت السبى الذى كان عبد العزيز أخذه من حسان، مائتى جارية منها ما يقام بألف دينار.

مقتل زهير بن قيس- قال وأغارت الروم بعد حسان على انطرابلس، فهرب ابراهيم بن النصرانى، وخلى أهل انطابلس، وأهل ذمتها فى ايدى الروم فرأسوها أربعين ليلة حتى أسرعوا فيها الفساد، وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان، فأرسل إلى زهير بن قيس وكان خرج مع حسان، فلما بلغ مصر أقام فيها فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم، ولم يجتمع لزهير من اصحابه إلا سبعون رجلاً وكان عارض من الصدف يقال له جندل بن صخر وكان فظاً غليظاً، فقال زهير لعبد العزيز بن مروان، أما إذ قد أمرتنى بالخروج فلا تبعثن معى جندلاً عارضاً، فيحبس على الناس لشدته وفظاظته، وكان عبد العزيز عاتباً على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية ايلة من قبل أن يدخل مصر، فقال له ما علمتك يا زهير إلا جلفاً! فقال له زهير، ما كنت أرى يا ابن ليلى

أن رجلاً جمع ما أنزل الله على محمد (صلعم) من قبل أن يجتمع أبواك جلف جاف، ما هو بالجلف ولا الجاف، أنا منطلق فلا ردنى الله إليك، فخرج حتى إذا كان بدرنة من طبرق من أرض انطابلس، لقى الروم وهو فى سبعين رجلاً فتوقف لتلحق به الناس فقال له فتى شاب كان معه:"جبنت يا زهير" فقال:"ما جبنت يا ابن أخى ولكن قتلتنى وقتلت نفسك" فلقيهم فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم. وكان مقتل زهير وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث فى سنة ست وسبعين.

قال وكان باملس من برية انطابلس رجل من مذحج يقال له عطية بن يربوع، خرج بابن له هارباً من الوباء، وكان فى تلك البرية جماعة من المسلمين فاستغاثهم، وركب فيمن حوله من الناس، فاجتمع إليه سبعمائة رجل فزحف بهم إلى الروم فقاتلهم فهزمهم واعتصموا بسفنهم وهرب من بقى منهم. وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فبعث إليها غلاماً يقا له تليد ووجه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها. حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، قال:"أمر على انطابلس حين قتل زهير". فثقل على الناس أمامة تليد بهم لأنه عبد فبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى تليد بعتقه، واقام بانطابلس.

موسى بن نصير- وقدم حسان بالنعمان من قبل عبد الملك، متوجهاً إلى المغرب فلما قدم مصر قال، لعبد العزيز: "أكتب إلى عبدك

بالاعراض عن انطابلس" فقال له عبد العزيز "ما كنت لأفعل بعد إذ ضيعتها فاستولت عليها الروم" فقال حسان:"إذاً ارجع إلى أمير المؤمنين." فقال له عبد العزيز: "ارجع" فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك، وخلف ثقله بمصر فقدم على عبد الملك، وهو مريض وجه عبد العزيز (بن مروان) موسى ابن نصير إلى المغرب، فأخبر حسان عبد الملك بذلك فخر عبد الملك ساجداً وقال: "الحمد لله الذى امكننى من موسى لشدة اسفه عليه. وكان عاملاً لعبد الملك عى العراق مع بشر بن مروان فعتب عليه عبد الملك، واراد قتله فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبه، وكان عنده بمصر. ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً حتى توفى، وقدم موسى ابن نصير المغرب فى سنة ثمان وسبعين. حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، قال: أمر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين. فعزل ابا صالح وافتتح عامة المغرب وواتر فتوحه، وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان وبعث بغنائمه وانهاها عبد العزيز إلى عبد الملك، فسكن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجد على موسى.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، "ان موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبى مائة ألف، وبعث ابن أخيه فى جيش آخر فأصاب مائة ألف، فقيل لليث بن سعد من هم؟ فقال: "البربر" فلما أتى كتابه بذلك قال الناس ابن نصير: والله أحمق من أين له عشرون ألفاً يبعث بها إلى أمير المؤمنين فى

الخمس فبلغ ذلك موسى بن نصير فقال ليبعثوا من يقبض لهم عشرين ألفاً.

ثم توفى عبد الملك بن مروان، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى ابن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشر ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين.

واستخلف الوليد بن عبد الملك. فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فعظمت منزلة موسى عنده، واشتد عجبه به.

ملحق (٢)

ذكر فتح الأندلس (من كتاب فتوح إفريقية، والأندلس لابن عبد الحكم)

قال ووجه موسى بن نصير، ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطاً على ساحلها فجهد هو وأصحابه، فانصرف وخلف على جيشه طارق بن عمرو (الصواب زياد) واكنوا ألفاً وسبعمائة. ويقال بل كان مع طارق اثنى عشر ألفاً من البربر، إلا ستة عشر رجلاً من العرب وليس ذلك بالصحيح. ويقال ان موسى بن نصير خرج من افريقيا غازياً إلى طنجة، وهو أول من نزل طنجة من الولاة وبها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل فى الطاعة. فلما دنا من طنجة بث السرايا فانتهت خيله إلى السوس الأدنى فوطئهم وسباهم، وأدوا إليه الطاعة، وولى عليهم والياً أحسن فيهم السيرة، ووجه بسر بن أبى أرطأة إلى قلمة من مدينة القيروان على ثلاثة أيام فافتتحها، وسبى الذرية وغنم الأموال. قال: "فسميت قلعة بسر" فهى لا تعرف إلا به إلى اليوم. ثم إن موسى عزل الذى كان استعمله على طنجة وولى طارق بن زياد ثم انصرف إلى القيروان، وكان طارق قد خرج معه بجارية له يقال لها ام حكيم فأقام طارق هناك مرابطاً زماناً وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ه.

وكان المجاز الذى بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان صاحب سبته وكان على مدينة على المجاز إلى ألأندلس يقال لها الخضراء مما يلى طنجة، وكان يليان يؤدى الطاعة إلى لذريق صاحب

الأندلس وكان لذريق يسكن طليطلة فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا، وكان يليان قد بعث بابنة له إلى لذريق صاحب الأندلس ليؤدبها ويعلمها. فأحبلها فبلغ ذلك يليان فقال لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب، فبعث إلى طارق أنى مدخلك الأندلس، وطارق يومئذ بتلمسين (أى تلمسان)، وموسى بن نصير بالقيروان، فقال طارق "فإنى لا اطمئن إليك. حتى تبعث إلى برهينة" فبعث إليه بابنتيه، ولم يكن له ولد غيرهما، فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما، ثم خرج طارق إلى يليان وهو بسبتة على المجاز، ففرح به حين قدم عليه، وقال له:"أنا مدخلك الأندلس" وكان فيما بين المجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس، فلما أمسى رد المراكب إلى من بقى من أصحابه، فحملوا إليه حتى لم يبق منهم أحد، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم، وكان طارق فى آخر فوج ركب، فجاز إلى أصحابه، وتخلف يليان ومن كان معه من التجار بالخضراء ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده. وبلغ خبر طارق ومن معه أهل الأندلس ومكانهم الذى هم به. وتوجه طارق فسلك بأصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال لها قرطاجنة، وزحف يريد قرطبة فمر بجزيرة فى البحر فخلف بها جارية له يقال لها ام حكيم، ومعها نفر من جنده، فتلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة أم حكيم. وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة، وجدوا بها كرامين ولم يكن بها غيرهم فأخذوهم، ثم عمدوا إلى رجل من الكرامين فذبحوه ثم عضوه وطبخوه،

ومن بقى من أصحابه ينظرون وقد كانوا طبخوا لحماً فى قدور أخر، فلما أدركت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذى كانوا طبخوه ومن بقى من الكرامين ينظرون إليهم، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم ارسلوا من بقى منهم فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس، وأخبروهم بما صنع بالكرام.

قال وكان بالأندلس كما حدثنا ابو عبد الله بن عبد الحكم وهشام بن اسحاق بيت عليه اقفال لا يلى ملك منهم إلا زاد عليه قفلاً من عنده، حتى كان الملك الذى دخل عليه المسلمون فإنهم أرادوه على أن يجعل عليه قفلاً كما كانت تصنع الملوك قبله، فأبى وقال:"ما كنت لأضع عليه شيئاً حتى أعرف ما فيه." فأمر بفتحه فإذا فيه صور العرب وفيه كتاب إذا فتح هذا الباب دخل هؤلاء القوم هذا البلد(وهى رواية أسطوره بعيده عن العقل والمنطق) .

*روايه خياليه لاتتفق مع العقل والمنطق لأن الإسلام يحُرم ذلك .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال:"فلما جاز طارق تلقته جنود قرطبة، واجترؤوا عليه للذى رأوا من قلة أصحابه، فاقتتلوا فاشتد قتالهم ثم انهزموا، فلم يزل يقتلهم حتى بلغوا مدينة قرطبة وبلغ ذلك لذريق فزحف إليهم من طليطلة فالتقوا بموضع يقال له شذونه على واد يقال له اليوم وادى ام حكيم، فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل الله عز وجل لذريق ومن معه.

وكان مغيث لرومى يريد قرطبة ومضى طارق إلى طليطلة فدخلها وسأل عن المائدة ولم يكن له هم غيرها، وهى مائدة سليمان بن داود التى يزعم أهل الكتاب. قال، وحدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد قال: فتح لموسى بن نصير الأندلس فأخذ منها مائدة سليمان بن داود عم والتاج. فقيل لطارق أن المائدة فى قلعة يقال لها فراس، مسيرة يومين من طليطلة وعلى القلعة ابن اخت لذريق فبعث إليه طارق بامانه وامان أهل بيته فنزل إليه، فأمنه ووفى له، فقال له طارق ادفع إلى المائدة فدفعها إليه وفيها من الذهب، وجعل لها رجلاً سواها فقومت المائدة بمائتى ألف دينار لما فيها من الجوهر، وأخذ طارق ما كان عنده من الجوهر، والسلاح، والذهب، والفضة والآنية وأصاب سوى ذلك من الأموال ما لم ير مثله فحوى ذلك كله ثم انصرف إلى قرطبة وأقام بها.

وكتب إلى موسى بن نصير يعلمه بفتح الأندلس وما أصاب من الغنائم، فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه بذلك ونحله نفسه وكتب موسى طارق ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه وشتمه شتماً قبيحاً.

ثم خرج موسى بن نصير إلى الأندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالى وعرفاء البربر، حتى دخل الأندلس، وخرج مغيظاً على طارق وخرج معه حبيب بن أبى عبيدة الفهرى، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله بن موسى، وكان اسن ولده، فأجاز من الخضراء ثم مضى إلى قرطبة، فتلقاه

طارق فترضاه وقال له:"إنما أنا مولاك وهذا الفتح لك" فجمع موسى من الأموال ما لا يقدر على صفته، ودفع طارق كل ما كان غنم إليه. قال، "ويقال بل توجه لذريق إلى طارق وهو فى الجبل فلما انتهى إليه لذريق خرج إليه طارق ولذريق يومئذ على سرير ملكه والسرير بين بغلين يحملانه وعليه تاجه وقفازه.

وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحلية". فخرج إليه طارق وأصحابه رجالة كلهم ليس فيهم راكب فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن غربت، وظنوا أنه الفناء، فقتل الله لذريق ومن معه وفتح للمسلمين، ولم يكن بالمغرب مقتلة قط أكثر منها، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ثم ارتحل الناس إلى قرطبة. قال:" ويقال أن موسى هو الذى وجه طارقاً بعد مدخله الأندلس إلى طليطلة، وهى النصف فيما بين قرطبة واربونة، واربونة هى أقصى ثغر الأندلس وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهى إلى اربونة ثم غلب عليها أهل الشرك فهى فى أيديهم اليوم، وأن طارقاً إنما أصاب المائدة فيها.

وكان لذريق يملك ألفى ميل من الساحل إلى ما وراء ذلك، وأصاب الناس غنائم كثيرة من الذهب والفضة. حدثنا عبد الملك بن مسلمة:"حدثنا الليث ابن سعد قال: ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ، والياقوت، والزبرجد، وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضرب

وسطها فيأخذ أحدهما نصفها؛ والآخر نصفها لأنفسهم وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك. حدثنا عبد الملك ابن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، قال:"لما فتحت الأندلس جاء انسان إلى موسى بن نصير فقال:"ابعثوا معى أدلكم على كنز" فبعث معه فقال لهم الرجل:"انزعوا ها هنا فنزعوا" قال: فسال عليهم الزبرجد، والياقوت شئ لم يروا مثله قط، فلما رأوه تهيبوه، وقالوا لا يصدقنا موسى بن نصير فأرسلوا إليه حتى جاء ونظر إليه. حدثنا عبد الملك، حدثنا الليث بن سعد "ان موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى عبد الملك أنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر".

حدثنا عبد الملك بن مسلمة "حدثنا مالك بن انس، عن يحيى بن سعيد، قال: "لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم، فغلوا فيها غلولاً كثيراً حملوه فى المراكب، وركبوا فيها فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً، يقول اللهم غرق بهم فدعوا الله وتقلدوا المصاحف قال فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرق بهم. وأهل مصر ينكرون ذلك، ويقولون أن أهل الأندلس هم الذين غرقوا وإنما هم أهل سردانية وذلك أن أهل سردانية كما حدثنا سعيد بن عفير لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم فى البحر فسدوه وأخرجوا منه الماء، ثم قذفوا فيه آنيتهم من الذهب والفضة، ثم ردوا عليه الماء بحاله وعمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفاً من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين، فنزل رجل من المسلمين يغتسل

فى ذلك الموضع الذى سكروه، ثم أعادوا عليه الماء فوقعت رجله على شئ فأخرجه فإذا صحفة من فضة، ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء وأخذوا جميع تلك الآنية، ودخل رجل من المسلمين ومعه قوس بندق إلى تلك الكنيسة التى رفعوا بين سقفيها ما لهم فنظر إلى حمام فرماه ببندقه فأخطأه وأصاب شبحة خشب فكسرها وانهال عليهم المال فغل المسلمون يومئذ غلولاً كثيراً. فان كان الرجل ليأخذ الهر فيذبحها ويرمى ما فى جوفها ثم يحشوه مما غل، ثم يخبط عليه ويرمى بها إلى الطريق ليتوهم من رآها أنها ميتة، فإذا خرج أخذها وان كان الرجل ينزع نصل سيفه فيطرحه ويملأ الجفن غلولاً ويضع قائم السيف على الجفن. فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا منادياً ينادى اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف ففرقوا جميعاً إلا أبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله السبئى فانهما لم يكونا نديا من الغلول بشئ. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة قال: سمعت ابا الاسود قال سمعت عمرو بن اوس يقول: "بعثنى موسى بن نصير افتش أصحاب عطاء بن دافع، مولى هزيل حين انكسرت مراكبهم فكنت ربما وجدت الانسان قد خبأ الدنانير فى خرقة فى شئ بين خصيتيه، قال فمر بى انسان متكئاً على قصبة فذهبت افتشه فنازعنى، فغضبت فأخذت القصبة فضربته بها فانكسرت وانتشرت الدنانير منها فأخذت أجمعها. حدثنا عبد الملك، حدثنا الليث ابن سعد قال:"بلغنى ان رجلاً فى غزوة عطاء بن رافع، أو غيره بالمغرب غل، فتحمل بها حتى جعلها فى زفت فكان يصيح عند

الموت من الزفت، من الزفت".

قال وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمر(الصواب زياد) فشده وثاقاً وحبسه وهم بقتله، وكان مغيث الرومى غلاماً للوليد بن عبد الملك فبعث إليه طارق إنك ان رفعت أمرى إلى الوليد، وان فتح الأندلس كان على يدى، وان موسى حبسنى يريد قتلى أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك فلما أراد مغيث الانصراف ودع موسى بن نصير وقال له لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره وأخاف عليك وجده فانصرف مغيث، وموسى بالأندلس فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذى كان من فتح الأندلس على يدى طارق، وبحبس موسى اياه والذى اراد به من قتل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك، ولئن قتلته لاقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع مغيث الرومى فقدم به على موسى الأندلس فلما قرأه أطلق طارقاً وخلى سبيله ووفى طارق لمغيث بالمائة العبد الذى كان جعل له.

وخرج موسى بن نصير من الأندلس، بغنائمه وبالجوهر والمائدة واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين واربع وتسعين واشهراً من سنة خمس وتسعين فلما قدم موسى افريقية كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه، فخرج واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وسار موسى بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر، ومرض الوليد بن عبد الملك، فكان

يكتب إلى موسى يستعجله، ويكتب إليه سليمان بالمكث والمقام ليموت الوليد ويصيرما مع موسى إليه، وخرج موسى حتى إذا كان بطبريه اتته وفاة الوليد فقدم على سليمان بتلك الهدايا فسر سليمان بذلك .

ويقال أن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان خلفها ، ونزل قصرالماء وضحى هنالك ثم شخص ، وشخص معه طارق.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث بن سعد قال:" قفل موسى بن نصير وافدأ إلى أمير المؤمنين فى سنة سته وتسعين ودخل الفسطاط يوم الخميس لست ليال بقين من شهرربيع الأول.

ثم رجع إلىحديث عثمان بن صالح، وغيره قال فبينا سليمان يقلب تلك الهدايا إذانبعث رجل من أصحاب موسى يقال له عيسى بن عبد الله الطويل من أهل المدينة ، وكان علي الغنائم فقال:" يا أمير المؤمنين إن الله قد أغناك بالحلال عن الحرام وإنى صاحب هذة المقاسم، وإن موسى لم يخرج خمساً من جميع ما أتاك به" فغضب سليمان وقام عن سريره فدخل منزله ثم خرج إلى الناس فقال :"نعم قد أغنانى الله بالحلال عن الحرام" وأمربإدخال ذلك بيت المال ، وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه حوائج من معه ثم الانصراف إلى المغرب.

قال ويقال :" بل قدم موسى بن نصيرعلى الوليد بن عبد الملك والوليد مريض فأهدى إليه موسى المائدة" فقال طارق : أنا أصبتها ،

فكذبه موسى فقال للوليد فادع المائدة فانظر هل ذهب منها شئ ،فأدع المائدة فانظر هل ذهب منها شئ، فدعا بها الوليد فنظر فإذا برجل من أرجلها لاتشبه الرجل الاخر ، فقال له طارق سله يا أمير المؤمنين فإن أخبرك بما تستدل به على صدقه فهو صادق، فسأله الوليد عن الرجل فقال هكذاأصبتها ، فأخرج طارق الرجل التى كان أخذ منها حين أصابها ،فقال يستدل أمير المؤمنين بها على صدق ما قلت له، وأنى أصبتها فصدقه الوليد وقبل قوله وأعظم جائزته .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال:" وكان عبد العزيز بن موسى ، بعد خروج ابيه قد تزوج أمراه أمراه(الصواب أرمله) بنت ملك من أهل الأندلس يقال أنها ابنة لذريق ملك الأندلس الذى قتله طارق فجاءته من الدنيا بشئ كثير لايوصف، فلما دخلت عليه قالت نالى لاأرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون له،كما كان أهل مملكة أبى يعظمونه ويسجدون له فلم يدرما يقول لها فأمر بباب فنقب له فى ناحية قصره وجعله قصيراً وكان يأذن للناس فيدخل إلبه من الباب حين يدخل منكساً لقصر الباب " وهى فى موضع تنظر إلى الناس منه فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز الأن قوى ملكك.

وبلغ الناس أنه أنما نقب الباب لهذا ، وزعم بعض الناس أنها نصرته فثار به حبيب ابن أبى عبيدة القهرى ،وزياد بن النابغة التميمى ،وأصحاب لهم من قبائل العرب ،اجتمعوا على قتل عبد العزيز للذى بلغهم

منـأمره وأتـوا إلـى موذنـه فقـالوا أذن بلبـل لكـى نخـرج إلـى الـصلاة، فـأذن المؤذن ثم ردد التثويب، فخرج عبد العزيز فقال لموذنه لقد عجلت وأذنت بلبـل.ثـم توجـه إلـى المـسجد وقـد اجتمـع لـه أوليك النفـر وغيـرهم ممـن حضر الصلاةوتقدم عبد العزيزفافتتح يقرأ:"إذا وقعت الواقعة لـيس لوقعتهـا كذبة خافضة رافعة (١) .

فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز فنصرف هاربا حتى حتـى دخـل داره فدخل جنانا له واختبأ فيه تحت شجرة، وهرب حبيب بن أبـى عبيـدة وأصحابه، ،أتبعه زياد ابن النابغة فدخل على أثره فوجده تحت الـشجرة فقال له عبد العزيزيا بن النابغة نجنـى لك مـا سألت فقال :"لاتـذق الحيـاة بعدها" فأجهز عليه واحتز رأسه وبلغ ذلك حبيبا وأصحابه فرجعوا.

ثم خرجوا برأس عبد العزيز إلى سليمان بن عبد الملك وأمروا على الأندلس أيوب ابن عبد العزيزعلى أيوب ابن أخت موسى بن نـصير ،ومروا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى بن نـصير ،فلـم يعـرض لهم وساروا حتـى قـدموا علـى سليمان بـرأس عبـد العزيـز بـن موسـى فوضعوه بين يديه وحضر موسى بن نصيرفقال له سليمان " أتعرف هـذا، قال نعم أعلمه. صواما قواما فعليه لعنه الله إن كان الذى قتله خيرا منـه".

وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليثبن سعد فى سنة سبع وتتسعين .

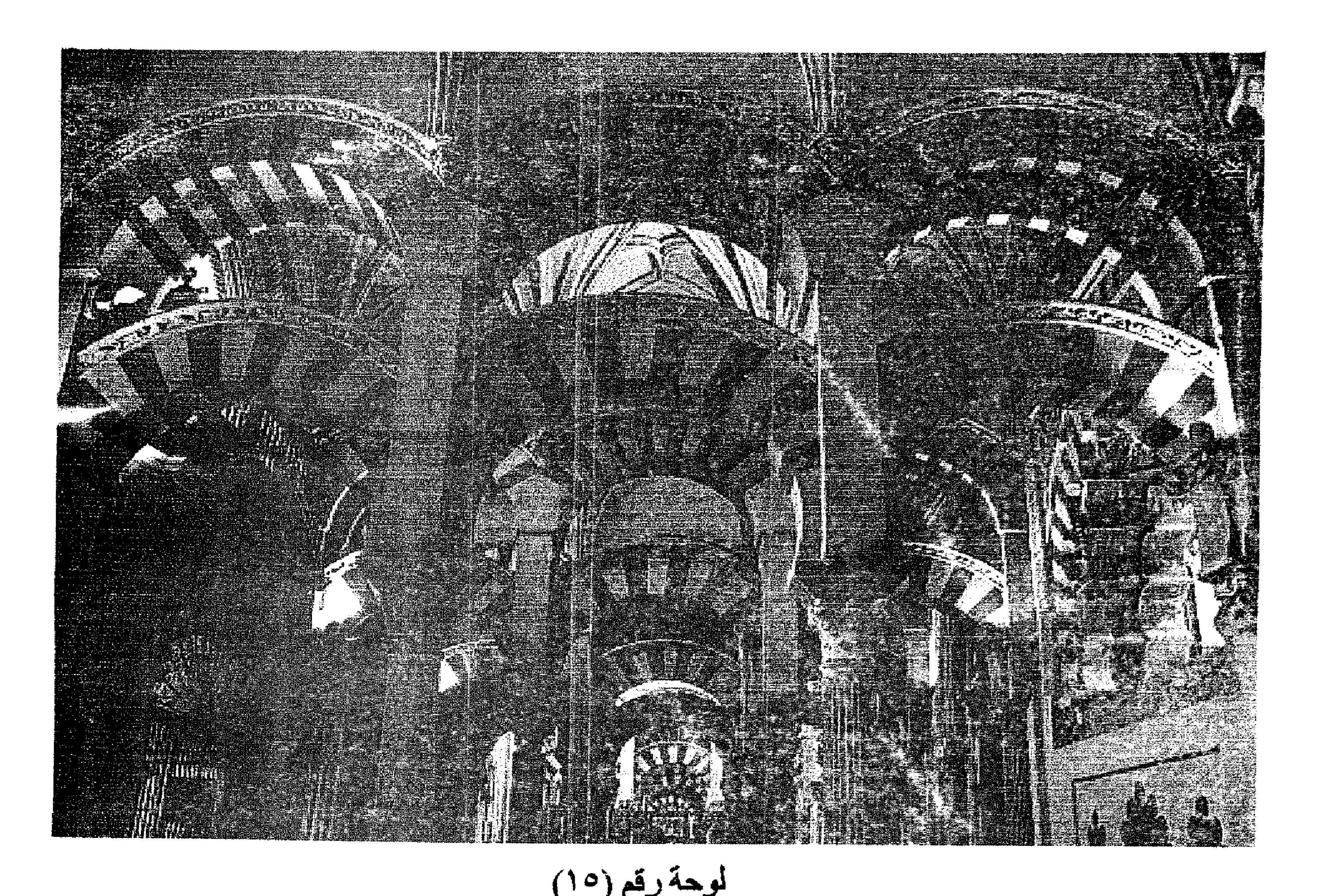
---

(١) سورة الوقعة سورة رقم ٥٦الآيات١-٢-٣.

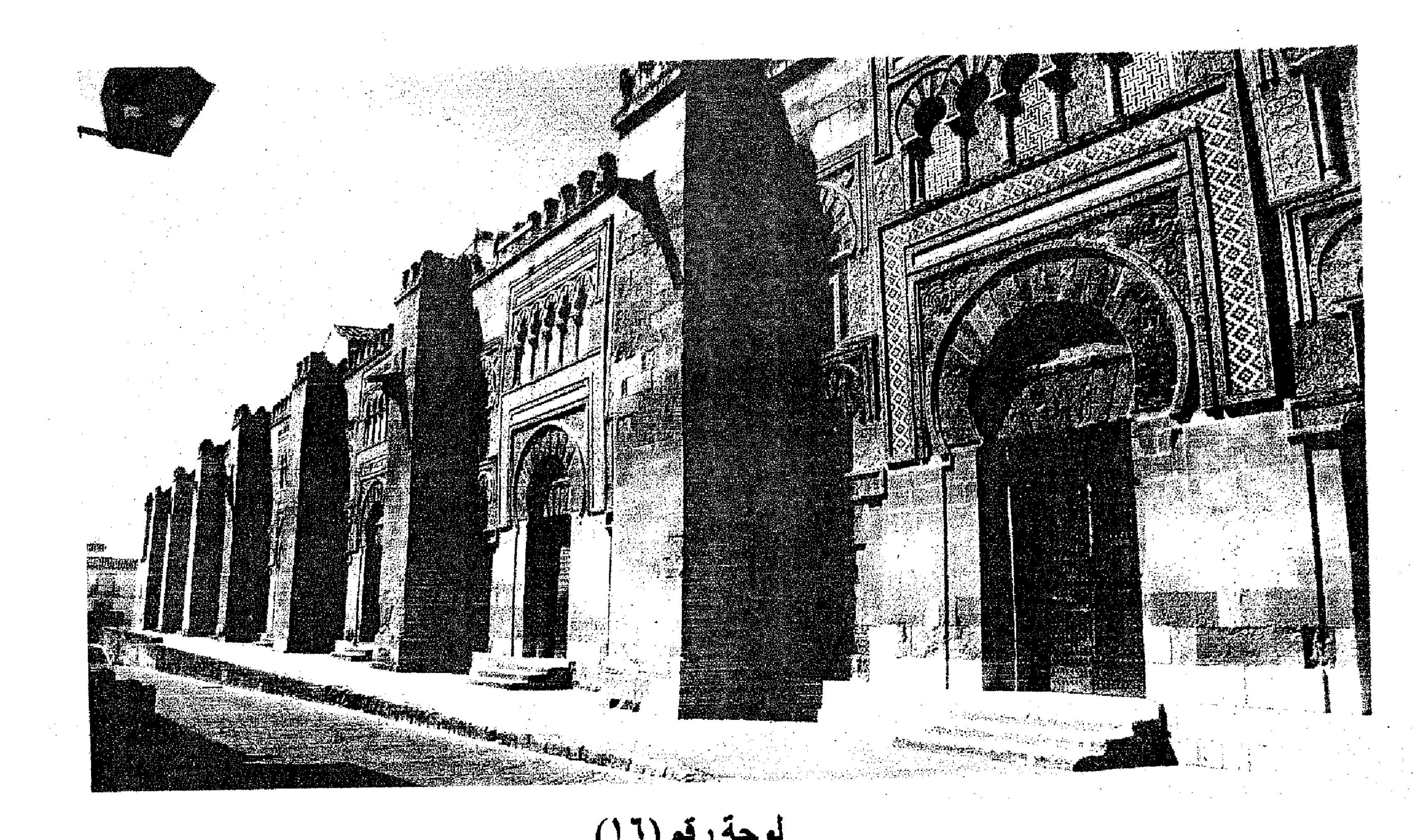
قال وكان سليمان عاتبا على موسى بن نصيرفدفعه إلى حبيب بن أبى عبيدة وأصحابه ليخرجوا به إفريقيه فاستغاث بأيوب بن سليمان فأجاره وشفع له عند أبيه .

ويقال أن سليمان أخذ موسى بن نصيرفغرم له مائة ألف دينار، وألزمه ذلك وأخذ ما كان له فاستجار بيزيد بن المهلب فاسوهبه من سليمان ، فوهبه له وماله ورد ذلك عليه ولم يلزمه شيئا ....)

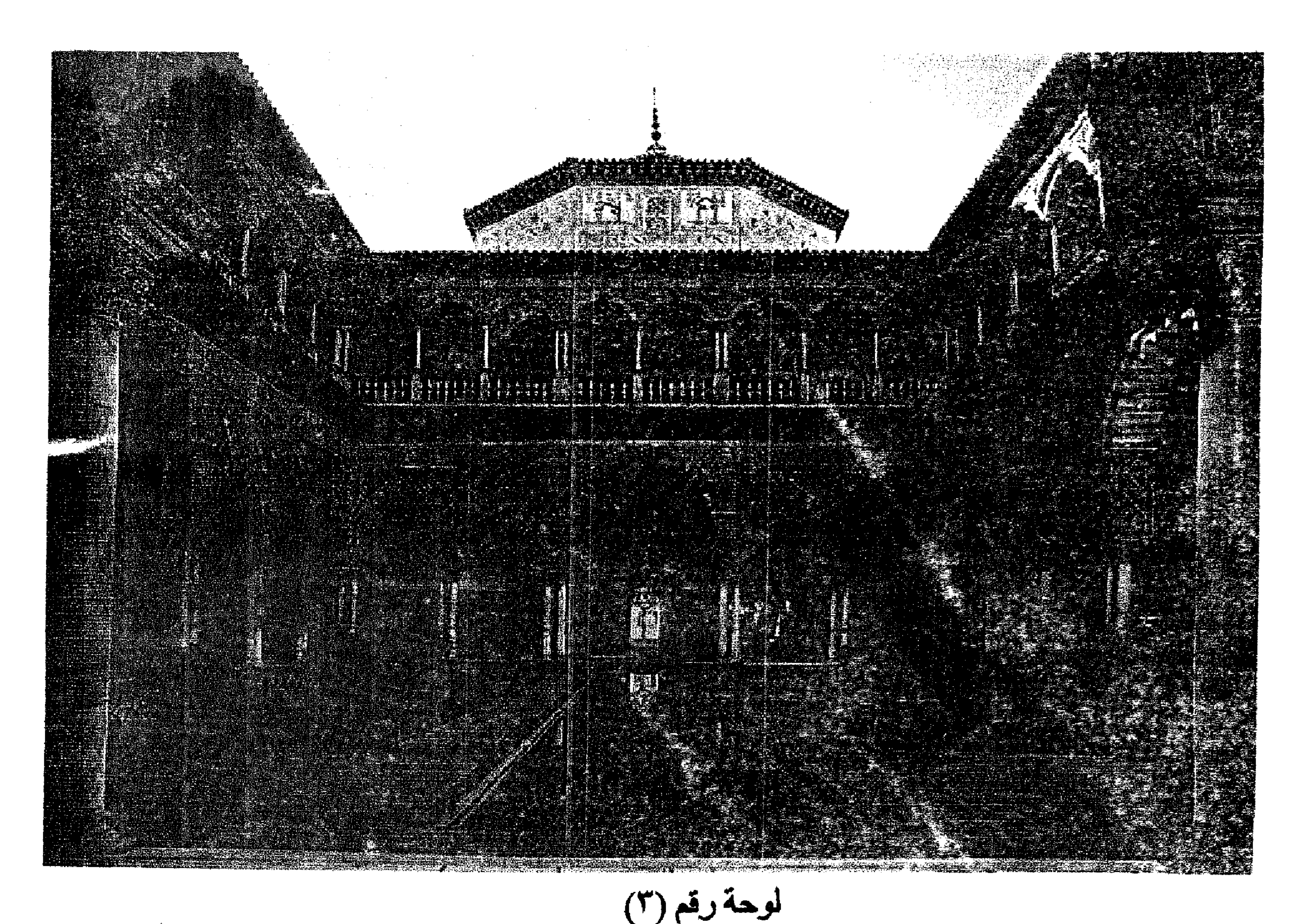
الفهـرس



لوحة رقم (١٥)
صورة لجامع قرطبة من الداخل عن موقع
(http://www.hotelfone.com/Photos/mezquita-de-cordoba1.jpg)



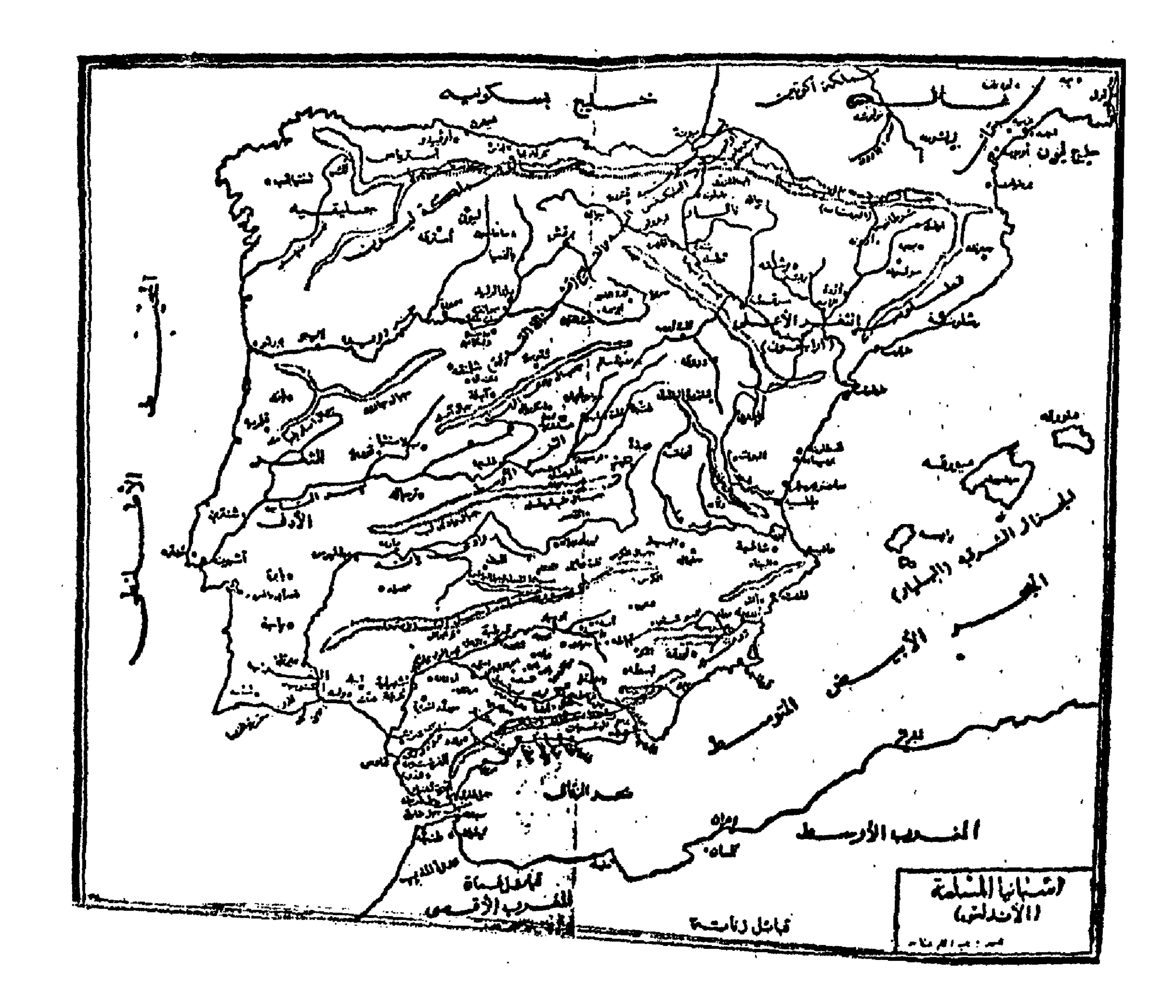
لوحة رقم (١٦)
صورة لجامغ قرطبة من الخارج عن موقع
(http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Fachada_oriental_de_la_Mezquita_de_C%C3% B3rdoba.JPG)

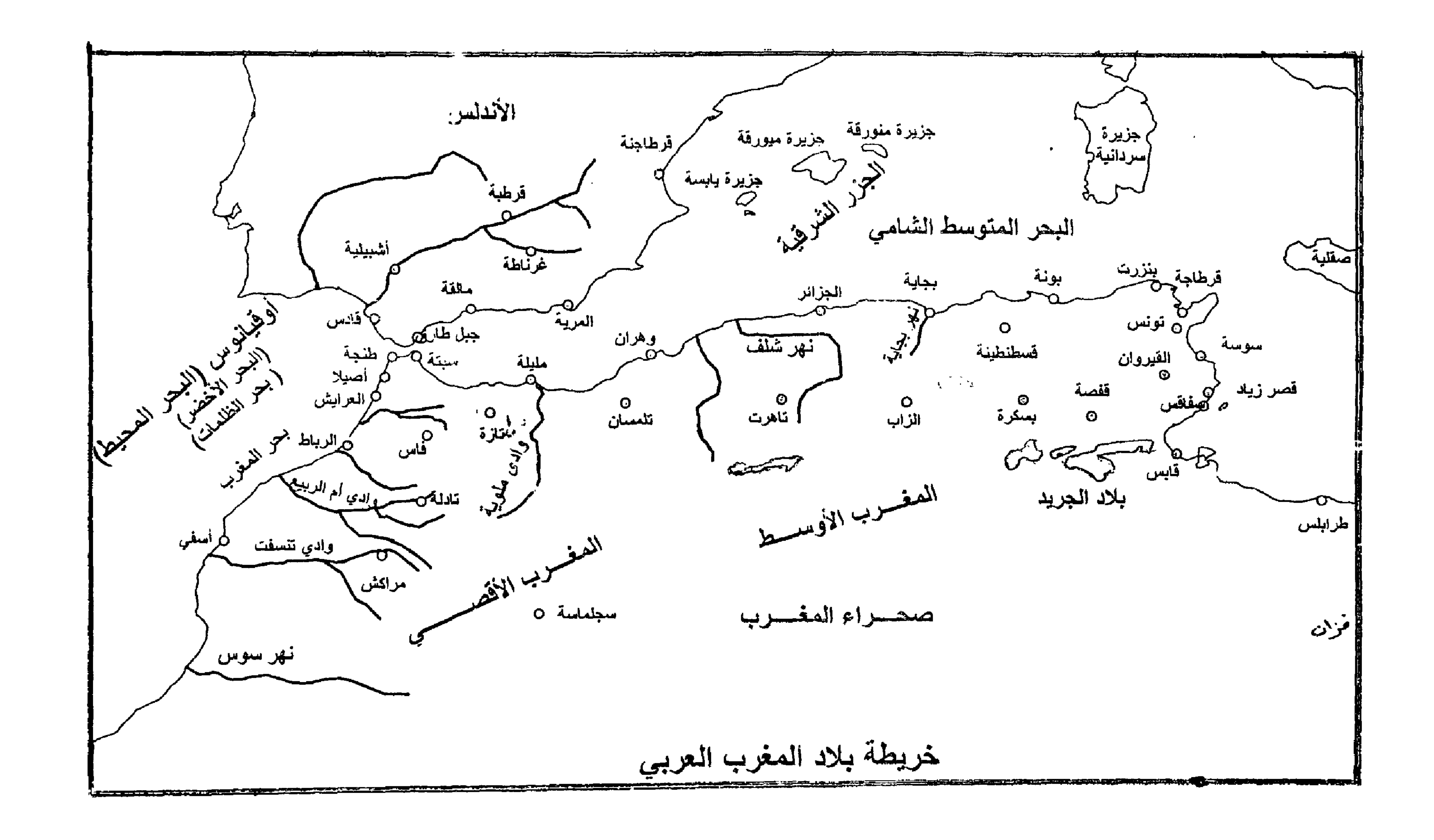


لوحة رقم (٣)

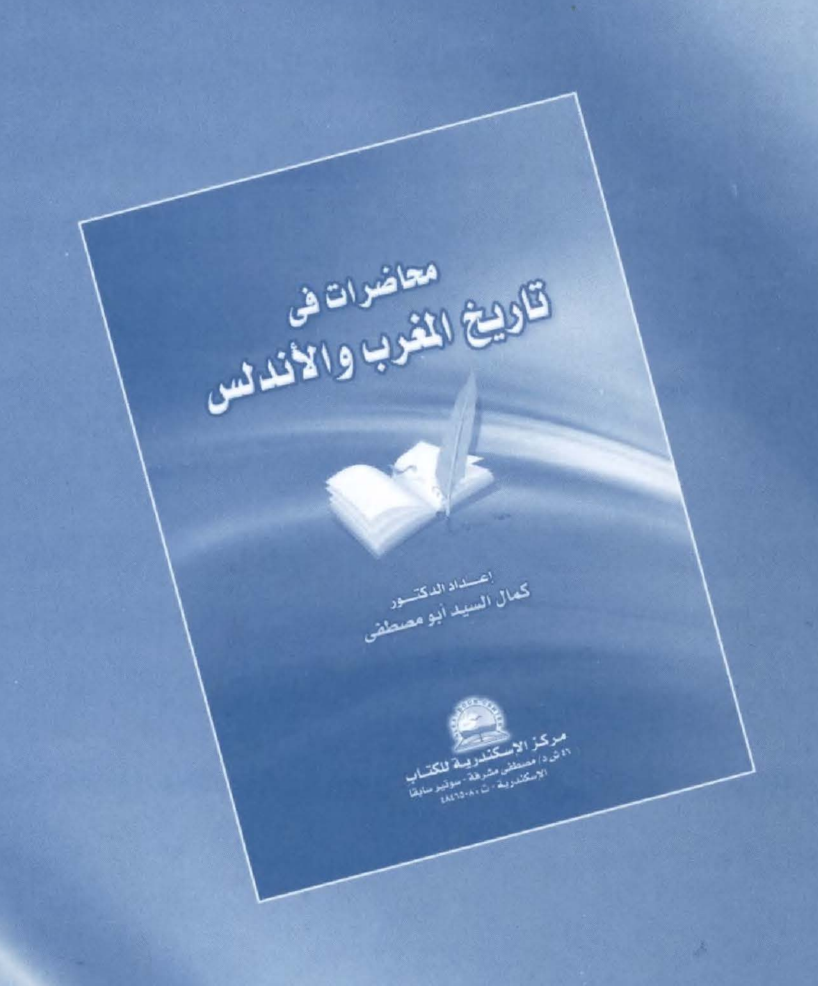
قصر اشبيليه (Alcázar de Sevilla)عن موقع

(http://www.flickr.com/photos/26254326@N02/3159387779/lightbox)


اسبانيا المسلمة
(الأندلس)
خليج بسكونيه
المحيط الأطلنطي
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر الشرقية (البليار)
ميورقه
منورقه
يابسه
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
قبائل زناتة
وهران



خريطة بلاد المغرب العربي


محاضرات فى
تاريخ المغرب والأندلس
إعداد الدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش د/ مصطفى مشرفة - سوتير سابقا
الإسكندرية - ت: ٤٨٤٦٥٠٨٠